فتحى عبد العزيز

الخميني
الحل الإسلامي والبديل



اهداءات ٢٠٠١

أ.د. محمود دياب

جراح بالمستشفى الملكي المصري

فتحي عبد العزيز

الخميني
الحل الإسلامي والبديل



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م

اهـــداء

الى رجلى القـــرن

الامام الشـــهيد حسن البنا ..

والامام الثائر آية الله الخمينى ...

مقـــدمة

مع انتهاء عام ١٩٧٧ م كانت الظروف الموضوعية قـد نضجت للثورة محليا : فساد هائل ، واسلاميا : وعى متزايد وتجـربة فكرية وسـياسة فى غاية العلمية وفى اطار مـن الاطروحات **الشيعية** المصرية ـ التى اقتربت من اهـل السنة ـ ضمن فترة من انشط الفترات فكريا فى تاريخهـم ودوليا : عدم رضا غربى .

وهكذا جاء شتاء ٧٨ .. لم يكن باردا تماما .. فقـد جاء الربيع مبكرا الى ايران .. انه ربيع الثورة يتسلل بروعة تاريخية لم تسجل من قبل .. ذكى الخطوات .. يتسـم بوعى عصرى وجمال عاشق .. ان للعمائم السوداء دور فى الربع الآخير من القرن العشرين .. وللطرحات النسـائية السوداء .. دور أيضا ..

ووقف العالم مشدوها وهو يرى السيدة الايرانية تهبط من جبال قم وشيراز وتبريز الى شوارع طهران .. رافعة قبضتها فى وجه العسكر ورافعات البترول واحتكارات الدول الكبرى .. ان منطق اسلام الحركة الأولى يظهر من جديد ووقف الاعلام الغربى وتلامذته حائرين متخبطين .. يغمسون أقلامهم فى مداد الشيطان ليكتبوا عن آية الله الذى التفت حوله ملايين الجماهير العطشى للحرية والعودة الى الله بينما هم يبحثون كل يوم عن عذر جديد لهذا القس المجنون جيمس جونز صاحب مذبحة جوايانا الأمريكية ووقف « الكمبيوتر

الامريكي عاجز عن فهم علاقة استشهاد الحسين منذ اكثر من ١٤٠٠ عام بسقوط نظام كان يعتبر اكثر النظم العصرية واستقرار في غرب آسيا » .

ومع استمرار الثورة وتقدمها فان مفاهيما جديدة تبرز ومفاهيما قديمة تختفي ..

● ان الرعب المستمر داخل العقول المريضة من الدول الكبرى وتسلطها وعنفها وتصويرها وكأنها سيف مسلط ضد الاسلام ومستقبله .. هـذا الرعب يتساقط الآن وتلك الخيالات تتهاوي فالدول الكبرى مثلها مثل كل الكائنات على الارض يمكن ان تخطىء الحساب حتى بالكمبيوتر !

● هذه مرحلة الاسـلام ولذا فقـد خرجت الجماهير تحت ظله .. ولو لم تكن مرحلته لما خرجت الجماهير بهذا الشكل من اجله .. لقد تساقطت امام شعوب المنطقة كل الاحتمالات .. ان تجارب مضنية مع اللبرالية والاشتراكية يعلن الآن فشلها وسقوطها .

● ان المعركة القادمة ستكون بين الاسلام والشيوعية فلم تعد الرأسمالية العالمية تحمى أحداً ولم تعد اطروحات التمييع والتردد والوقوف في المابين تصنع تنمية حقيقية ولا شعباً حقيقيا ولا سلطة حقيقية ، ولم تعد ايضاً تحمى ثرواتنا المنهوبة ان اجيالا تتكون الآن في هـذه المنطقة اكثر وعيا لحقائق الامور وهي تقترب اكثر من الاسلام تحت ظل الخطر الشيوعي القادم وينبغي الا ننسى هنا العلاقة اليهودية بالحركة الشيوعية كما ينبغي ان ننظر بجدية الى احتمال تحول التحالف الاسرائيلي الامريكي الى تحالف اسرائيلي سوفيتي (خاصة بعد دروس فيتنام وفرموزا وايران) .

ويبقى التساؤل الأخير .. عن احتمال عدم تسلم الحركة الاسلامية للسلطة .. سيكون من الصعب علينا وقتها أن نقول انهم لم يهزموا فى المعركة .. بل أن القضاء على الثورة فى ايران وبأى شكل وبأى وسيلة يعنى أن الحركة الاسلامية فى العالم قد تلقت اقسى الضربات منذ عام ١٩٥٤ .. بل ربما تكون هـذه الضربة أقسى وأكثر ايلاما من ضربة ١٩٥٤ .. ولكن هـذا لن يعنى ان المسـألة الشرقيـة قـد انتهت .. فبالاضافة للمفاهيم الجديدة التى اشرنا الى انها برزت يبقى الاسلام قادرا على ان يحرك الجماهير ويعيد حقائق القـوة فى العالم الى أوضـاع أخرى ويقترب من السـلطة وربمـا يمسكها .. ان اخطر القضايا ليس فقط فى ان كيانا عقائديا متماسكا يبرز للوجود متحديا سلسلة العقائد المادية المطروحة أمام الانسان .. ولكن أيضا فى أن الوطن الاسلامى قد أصبح أكثر خطورة استراتيجيا واقتصاديا فى زمن يطلق عليـه زمن الاقتصاد .

ان حدث هذا ــ لا قدر الله ــ فالمسلم لا يعرف الهزيمة وسنردد مع الامام الخمينى :

« اننا نعرف ان جميع القوى السياسية فى العالم تريد تحطيم حركتنا . لكنا نعرف فى الوقت نفسه ان مسؤليتنا الاسلامية والحكم الآلهى يفرضـان علينا عـدم الاغـراق فى القلق ، اننا بمنطق صدر الاسلام نتحرك ، فاذا قتلنا فنحن فى الجنـة .. فاذا هزمنـا فنحن فى الجنـة ، واذا اوقعنا الهزيمة باعداء الاسلام فنحن أيضا فى الجنة ومن اجل ذلك لا نخاف الهزيمة ، بل اننا لا نخاف من شىء ، ان النبى صلى الله عليه وسلم هزم فى بعض الغزوات ، اننا نحارب بسيف الله وستستمر الحركة » ..

بسم الله الرحمن الرحيم

« مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت ، لو كانوا يعلمون » ..

صدق الله العظيم

العنكبوت ٤١

* * *

« الا ان رحى الاسلام دائرة ، فدوروا مع الاسلام حيث دار الا ان الكتاب والسلطة سيفترقان ، فكونوا مع الكتاب .. الا انه سيولى عليكم امراء ، ان اطعتموهم اذلوكم وان عصيتموهم قتلوكم .. قالوا « ماذا نفعل يا رسول الله ؟ قال « كونوا كأصحاب عيسى ، نشروا بالمناشير ، وحملوا على الخشب ، فوالذى نفس محمد بيده .. لموتة فى طاعة الله خير من حياة فى معصيته » ..

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

* * *

الحركة الاسلامية والتحدى

١

هل انتهى عصر الاقزام والخصيان الذين طفوا منذ قرن مضى على سطح الزمان العربى والاسلامى ..

هل انتهى الزمان الذى كان احدهم يسمى ابنه (لهب) حتى يدعوه الناس (ابا لهب) .. هل انتهت مرحلة التجارب التى أنهكت امتنا وشلت قواها تحت اشراف الاستعمار ومن أجل ايجاد بدائل عن الاسلام .. التمسناها فى فكر اعدائنا ..

هل انتهت مرحلة الشعوب التى كانت تخرج بايحاء الاجهزة والعملاء لتهتف ضد مصالحها وتراثها وايديولوجيتها الحقيقية .. هل انتهت مرحلة العسكر الذين يلبسون تيجان الاباطرة واحذية الجماهير .. هل انتهت مرحلة المزاعم والشعارات التقدمية التى ضيعت آلاف الكيلو مترات من ارض امتنا وروحها .. وهل بدات الحرب الاسلامية الكبرى على حد تعبير « البارى ماتش » الفرنسية (١٢ — ١ — ١٩٧٩) .

٢

فى نهاية الاربعينات وبداية الخمسينات كانت مصر تموج بحركة عنيفة مضطربة ، وكانت الحركة الاسلامية

تأخذ مكانها الطبيعي في قيادة الجماهير وتوشك ان تهز العرش المهترىء .. وفجأة قفز عبد الناصر الى السلطة .. ولم تمض سوى سنوات قليلة حتى تمت تصفيه القوى الاسلامية الوطنية في عملية من ابشع عمليات التصفية في التاريخ الاسلامي الحديث .. ورغم زعم عبد الناصر – عقب الانفصال وفي حديث لرئيس تحرير الحوادث اللبنانية – رغم زعمه بالحاجة الى ثورة ثقافية اسلامية وقوله :

« بمن سأنفذ هذه الثورة .. ليتني كنت من رجال الدين » !

الا ان الحرب ضد ايديولوجية الأمة والفكر الوحيد القادر على تعبئتها في معركتها السياسية والاجتماعية قد استمرت ..

ورحل عبد الناصر تاركاً آلاف السكيلو مترات في أيدي اعداء هذه الامة .. وتاركا مصر تئن تحت ثقل أوضاع اقتصادية متدهورة وديون زادت عن العشرة بليون دولار .

ومن مصر الى الجزائر .. أجاب هوارى بومدين على سؤال عن الذي جعله يقوم بحركته ضد بن بللا رمز الثورة أجاب عام ١٩٦٦ قائلا : **« لم أقدم على تحمل مسئولية الحكم الا بعدما رأيت مئات الآلاف من الجزائرين يسيرون في جنازة الشيخ البشير الابراهيمي ، وكأنهم يريدون أن يعلنوا كفرهم بالجديد الذي جاءهم به بن بللا .. لقد استبد**

الحنين بالناس الى الماضي المحافظ .. وهم يرون ما فعلته بهم يد الحاضر الثورى » ..

اذا .. هكذا .. ولكن الواقع الجزائرى يكذب بومدين .. ويطرح الوجه الآخر للاجابة لقد كانت جنازة الشيخ الابراهيمى فرصة الجماهير التى عبرت فيها عن سخطها على الشعارات اللا اسلامية التى بدأت تطرحها ثورة المليون شهيد .. لقد كان خروج الجماهير يومها أعلانا عن اصرار هذا الشعب المسلم على تمسكه باصالته وتراثه .. ومن هنا كان لا بد من اجهاض هذه المشاعر .. ولهذا جاء بومدين الذى غاب بعد ثلاثة عشر عاماً تاركاً الجزائر فى دوامة برامج ينذر مصيرها بما لا يحمد عقباه .. تاركاً بلداً غنياً وقد ارتفعت ديونه الى ٦ بليون دولار .

وفى السودان الذى كان مهداً للثورة المهدية العظيمة كان انقلاب ٢٥ مايو (آيار) ١٩٦٩ والذى حمل العسكر الى السلطة ايذانا ببدء عملية تصفية للحركة الاسلامية على الطريقة الناصرية وان اثبتت التطورات الأخيرة انهم عبثاً **حاولوا ..**

وفى ليبيا حيث بدات تشييخ الحركة السنوسية التى حملت على عاتقها راية الجهاد ووقفت ببسالة امام عمليات الابادة الحضارية التى شنها الطليان ضد شعب ليبيا المسلم — وكان من الضرورى ان تتطور الحركة السنوسية

لنستوعب المعطيات الجديدة ـ كان طبيعيا ان تسلم الراية للحركة الاسلامية التى بدات تأخذ دورها بين جماهير المسلمين .. وفجاة قفز القذاق للسلطة فى محاولة جديدة من العسكر لاجهاض رياح التغيير القادمة .. وحتى تكتمل المسرحية نودى بالزعيم الجديد .. خليفة للمسلمين .. واميناً للقومية العربية .. وامتلأت الصحف الغربية بالحكايات والقصص عن عمر بن الخطاب الجديد .. ولكن لم تمض الا شهور قليلة حتى كان رجال الحركة الاسلامية يزج بهم فى المعتقلات والسجون .. وتم كل هذا باسم الاسلام .. باسم القوانين التى ستقطع يد السارق وتحرم الخمر ، ولكن شاباً مصريا وقف ليلة المسيرة الليبية الشهيرة ـ وخلال الحوار الذى دار بين الليبيين والمصريين ـ ليقرأ من صحيفة فى يده هجوما على الشكل الاسلامى الجديد فى ليبيا فيقول : « **ان الاخوان المسلمين بنفوذهم فى طرابلس** كانوا خلف فرض الزكاة وتحريم الخمر ، وقطع يد السارق .. وان هذه القوانين اثبتت فشلها وان تحريم الخمر اضر بالاقتصاد الليبى وضيع على الليبيين موارد السياحة .. وحول ليبيا الى مسرح لتهريب الخمور ودفع الليبيين الى الهرب من ليبيا الى حيث يسكرون فى الخارج » .

« ان اللجوء الى نبش قوانين كانت تجوز منذ عشرة قرون هو تخلف لا شك فيه » ، « .. ان اصدار هذه القوانين يراد به نسف الوحدة مع مصر .. لانه لا قانون تحريم الخمر ، ولا قانون قطع اليد او الرجم او اى قانون

متخلف من هذا القبيل يمكن أن يسرى فى مصر .. » وعندما انهى الشاب المقال فى يده علق احد الاعضاء الليبيين : هذا كلام اعداء الوحدة والاسلام ..

وهنا فجر الشاب المصرى مفاجأته : هـذا هو النص الحرفى لمقال كتبه صحفى عربى اشترت له ليبيا امتياز صحيفة ليعبر عن الثورة الليبية !!

وهكذا جرت الامور حتى جاء الزمان الذى يقف فيه القذافى بعد سنوات ليشن هجومه على السنة المحمدية ، ويكتشف بعد اربعة عشر قرناً أن القرآن الكريم لا يتحدث عن المشاكل التى نحكم بها المجتمع (على حد تعبيره) حتى العقوبات فى الدنيا محدودة بثلاثة او أربعة !! ثم يتحدث عن كمال اتاتورك الذى قال عن الاسلام « انه أحكام ونظريات شيخ عربى » ـ والذى ليس من المصادفة ان يكون معبود العسكر فى العالم الاسلامى بدءاً بالكولونيل رضا بهلوى والد الشاه الى الكولونيل معمر القذافى يقول فى اتاتورك (يوم ٣ يوليو ١٩٧٨ وفى اختتام الحفل الدينى الذى اقامته اذاعة القرآن بمناسبة الختمة المائة للمصحف المرتل ، يقول العقيد : « عندما جاء آتاتورك وقال : نفصل الدين عن الدولة .. هو مسلم مصطفى كمال آتاتورك ولم يقل ابداً أن تصبح تركيا ملحده .. قال تركيا دولة اسلامية وتبقى اسلامية .. ولكن قال انا عندى طلب واحد ؛ أريد أن افصل الدين عن الدولة . كيف ؟ تصبح الدولة وضعية

تعالج مشاكلها السياسية والاقتصادية وفقا للعصر إما الدين نترك كل واحد يتدين .. يحج .. يصوم .. يصلى بالمسجد .. يبنى مسجدا ؛ جاء المتعصبون الذين سموا انفسهم علماء وقالوا مستحيل هذا كفر .. قال لهم انا ذاهب الى قمة الكفر واحضر السيف واعلن الالحاد .. آتاتورك مظلوم اقولها للتاريخ انه مظلوم لأن الجهلاء والسذج المتعصبين هم الذين اجبروه على الكفر .

وكذلك اذا جاء واحد وقال لى الكتاب الأخضر ضد الدين مثلا .. اتصرف معه مثل آتاتورك » .

وفى باكستان واندونيسيا كان العسكر يظهرون كلما اوشكت الجماهير الاسلامية أن تتسلم مقاليد أمورها بنفسها .

وفى سوريه والعراق وتحت ظل عسكر البعث لازالت سجون البلدين تمتلىء بالمسلمين فى محاولات يائسة لعزل الحركة الاسلامية عن جماهيرها .. **ولكن كيف بدأ مد العسكر هذا ؟ !**

٣

لقد أدرك الاستعمار من خلال كل معاركه الصليبية مدى تغلغل عقيدة الاسلام فى نفوس أصحابها ومدى التفاف المسلمين فى شتى أقطار الارض حول راية القرآن وحول

النظام السياسى الاسلامى الذى تمثل فى الدولة العثمانية فى القرون الاخيرة .. كما ادرك الاستعمار الصليبى أنه لن يستطيع مواجهة هذه الوحده وهذا التيار الذى كان يعلن « انه لا جنسية للمسلمين الا فى دينهم » لن يستطيع مواجهته بجنود ولا بعناد .. حتى أن نابليون عندما دخل مصر فى نهاية القرن الثامن عشر أعد بيانا وجهه للمصريين يقول فيه « بسم الله الرحمن الرحيم .. لا اله الا الله ، لا ولد له ولا شريك له فى ملكه .. من طرف الفرنساوية المبنى على اساس الحرية والتسوية والسر عسكر الكبير امير الجيوش الفرنسية بونابرت يعرف أهالى مصر جميعهم ان من زمان مديد الصناجق الذين يتسلطون فى البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار فى حق الملة الفرنساوية ويظلمون تجارها بانواع الايذاء والتعدى فحضر الآن ساعة عقوبتهم واخرنا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك من بلاد الابازه والجراكسه يفسدون فى الاقليم الحسن الأحسن الذى لا يوجد فى كرة الأرض كلها ، فأما رب العالمين القادر على كل شيء فقد حكم على انقضاء دولتهم .

يا أيها المصريون قد قيل لكم اننى ما نزلت بهذا الطرف الا بقصد ازالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه وقولوا للمفترين أننى ما قدمت اليكم الا لأخلص حقكم من يد الظالمين وأننى اكثر من المماليك اعبد الله سبحانه وتعالى واحترم نبيه والقرآن العظيم » . « أيها المشايخ والقضاة

والجربجية والأئمة واعيان البلد قولوا لامتكم أن الفرنساوية هم أيضا مسلمون مخلصون . (فى النص الفرنسى : اننـا أصدقاء المسلمين الحقيقيين) واثبات ذلك إنهم قد نزلوا فى روميه الكبرى وخربوا كرسي البـابا الذى كان دائماً يحث النصارى على محاربة الاسلام .. ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكوالريه الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب مقاتلة المسلمين .. ومع ذلك الفرنساوية فى كل وقت من الأوقات صاروا محبين لحضرة السلطان العثمانى واعـداء اعدائه ادام الله ملكه (!) ومع ذلك ان المماليك امتنعوا عن طاعة السلطان غير ممتثلين لأمره » .

وفى نهاية البيان « الواجب على المشايخ والعلماء والقضاة والأئمـة انهـم يلازمون وظائفهم وعلى كل واحـد من أهالى البلدان ان يبقى فى مسكنه مطمئناً ، وكذلك تكون الصـلاة قائمة فى الجوامع على العادة والمصريون باجمعهم ينبغى أن يشكروا الله سبحانه وتعالى لانقضـاء دولة المماليك قائلين بصوت عال : أدام الله اجلال السلطان العثمانى .. أدام الله اجلال العسكر الفرنساوى .. »

ولكن الحملة الفرنسية بالذات هى المرحلة التى يمكن أن نبدأ بها التأريخ لعملية طرح بدائل عن الاسلام فى المنطقة .

لقد كانت الثورة الفرنسية وقتها تحطم الملكية وتخرج بشعاراتها الجديدة عن الحرية والمساواة لتغزو بها العالم !!

وكان اختيار مصر للاهمية الجغرافيـة والسـياسية التى تتمتع بها فى المنطقة .. وتبع الحملة الفرنسية وظهور محمد على خروج البعثات من مصر الى أوروبا لتلقى العلم والمعرفة وحدث وقتها وبعدها ولا زال خلط شديد بين قيم التراث وقيم المعرفة .. بين قيم التراث الباعثة والقادرة على تعبئة الأمة .. القادرة على رد التحدى والفعل فى آن واحد .. وبين قيم المعرفة المرتبطة بالعلوم الطبيعية والتقدم التكنولوجى والتى يجب أن نتعلمهـا ونشـارك فى تطويرها ولـكن لا كأيديولوجية بديلة كمـا طرح بعض الذين ذهبوا الى أوروبا وبهرتهم نظافة الشـوارع فى لنـدن وباريس واعتقـدوا انه لا يمكن أن ننهل التكنولوجيا الغربية دون أبنية ومؤسسات تقـوم على الرؤية الغربيـة .. أى المنـاداه بالليبراليـة كأيديولوجية !

لقد كانت عملية طرح البدائل والتشكيك فى الايديولوجية الاسلامية وقدرتها على الاستمرار وحفظ الامة هى محور الصراع الذى بدأ فى القرن التاسع عشر واستمر حتى الآن .. وكان هذا مقدمة لتغيير الاوضاع السياسية التى كانت تحتم ارتباط الجماهير المسلمة برمز وحدتها المتمثلة فى الدولة العثمانية ولم تمر هذه المحاولة بسـهولة فلقد وقفت لهـا الجماهير تحت قيادة العلماء والمفكرين والثوار المسلمين ، وقفت لها بالمرصاد فهذا عرابى يثور على فساد الحكم فى مصر وعلى الانجليز دون أن يخطـر فى باله أن يخلع طاعـة الخليفة أو يخرج عليه فهو يعرض عليه خطواته مستمدا منه السلطة فى كل ما يفعل كما تروى مذكراته .

وهذا الامام محمد عبده يقول أثناء اقامته فى بيروت عام ١٨٨٦ **« ان المحافظة على الدولة العلية العثمانيـة ثالثـة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله ، فانها وحدها المحافظة لسلطان الدين الكافلة لبقاء حوزته وليس للدين سـلطان فى سواها وأنا على هذه العقيدة والحمد لله ، عليها نحيا وعليها نموت » ..**

وها هو يؤكد فى حديث له لرشيد رضا بعد انتصار الترك فى حرب اليونان عام ١٨٩٧ **« ان كثيراً من وجهاء المصريين يكرهون الدولة العثمانية ويذمونها وان كان أكثرهم يحبها ، وأنا أيضا أكره السلطان .. ولـكن لا يوجد مسـلم يريد بالدولة سوءا فانها سياج فى الجملة واذا سقط نبقى نحـن المسلمين كاليهود بل أقل من اليهود فان اليهود عندهم شيء يحافظون عليه ويحفظون به مصالحهم وجامعتهم وهو المال ونحن لم يبق عندنا شيء فقدنا كل شيء » .**

وهذا مصطفى كامل أحد زعماء الحركة الوطنية فى مصر يقول فى خطبـة له عام ١٩٠٠ أن الدين والوطنيـة توأمان متلازمان ويجيب على سـؤال للأمير (لاى بارنج) « شقيق كرومر » عن جنسيته بقوله : **« انا مصرى عثمانى »** ولكن عملية اجبار المسلمين على التخلى عن الاسلام كأيديولوجية وعن الدولة العثمانية كرمز للوحدة الاسلامية استمرت بكل شراسة ، فهذا أحد كتاب فرنسـا يرى أنه لا حل للمسألة الاسلامية الا بالقضاء على المسلمين ونبش قبر الرسـول الكريم ونقل عظامه الى متحف اللوفر بباريس .

وهذا (جلادستون) زعيم حزب الاحرار البريطانى يعلن انه لن يقر للانجليز قرار فى مصر الا بعد ان يحرقوا القرآن فى قلوب المصريين ويشير الى السلطان عبد الحميد مره بقوله « عدو المسيح » واخرى « الشيطان » . وهذا البريطانى (بلانت) يقول فى كتابه « مستقبل الاسلام » :

« ان هدم السلطنة العثمانية لا يضر المسلمين ، بل ان هذا العقد العثمانى ينثر ليعود عقداً عربياً أحسن واجمل »
وفى كلمة (بلانت) الاخيرة اشارة واضحة الى أن الاستعمار كان وراء طرح العروبة فى مقابل الاسلام كبديل مرحلى أقل خطراً على الاستعمار فضلا على ما فى هذا الطرح من طعن فى فكرة الوحدة الاسلامية وتقويض للدولة العثمانية تحت ستار العروبة وذلك حتى يسهل عليهم تقسيم المنطقة بينهم بالاضافة لما سيؤديه هذا الطرح من حصر الحركة العربية بعد ذلك فى آسيا لانه لم يكن سهلا أن تفصل العروبة عن الاسلام فى أفريقيا العربية .

وكى يتحقق هذا المخطط بدأ الاستعمار يربى تلامذته بارسالهم فى بعثات الى أوروبا او عن طريق الارساليات والمبشرين والمدارس والصحف التى كانوا يمولونها ويشرف عليها عملاؤهم .

ولقد توج هذا النشاط والمد الاستعمارى بالثورة العربية الكبرى التى خطط لها الانجليز ونفذوها على أعين

العرب وبأيديهم . هذه الثورة التي كانت اسفنيا فى جسد دولة الاسلام . واذا كانت الأمور بخواتيمها فان تاريخ هذه الأمة لن يرحم هؤلاء الذين رفعوا سلاح أعدائهم فى وجه اخوتهم حتى وان تعللوا بما تعلل به الأمير على بن الحسين عندما قال : **« لم نكن سوى بداة بسطاء .. لم يسبق لنا قبل الثورة أن دخلنا فى الحياة الدولية أو عاملنا الأجانب أو اتصالنا بهم من قريب أو بعيد ولقد جاءنا الانجليز الى الحجاز .. ولم نذهب اليهم .. جاءونا بورقة بيضاء فى ذيلها ختم الامبراطورية .. وقالوا لنا هذه ورقة رسمية فاكتبوا فيها ماتشاءون ونحن مستعدون للتنفيذ والتلبية فصدقناهم ووثقنا بهم وقاتلنا فى جانبهم ولكنهم ما لبثوا أن خانونا وغدروا بنا »** وكذلك ما رواه أمين سعيد فى كتابه « أسرار الثورة العربية ومأساة الشريف حسين » عن قائد الثورة **« انه لم يعش بعد وصوله الى الأردن سوى بضعة أيام كان خلالها فاقد الوعى والشعور وكان ينادى ويقول : هذا جزاء الذين يثقون بالانجليز ويصادقونهم ويعملون معهم »** .

ان التاريخ لن يرحم بل وسيزدرى كل من يحاول ان يتبع تكتيكا أو استراتيجية منفصلة عن ايديولوجية أمته سواء أكان الشريف حسين أو طابور الزعماء والقادة الذين ما فتئوا يتناوبون قيادة هذه الأمة واغتصاب السلطة فيها . وسقطت دولة الخلافة وعسكرت الجيوش الصليبية فى بلادنا ولكن الاستعمار الذى يعرف أنه لا مقام لجيوشه فى بلاد الاسلام بدأ يقسم هذه المنطقة ويسلمها لاعوانه وتلامذته

الذين صنعهم على عينه ، فالخوف من خطر البعث الاسلامى والثوره الاسلامية ظل يقلقهم ويرعبهم كما بقى ماثلا فى مخططاتهم وحساباتهم فرغم كل جهودهم الا أن الجماهير والحركات الاسلامية بقيت مركز الجذب فى المنطقة بمواقفها البطولية ضد الاستعمار سواء قبل سقوط دولة الخلافة او بعد سقوطها بدءا من ثورة المهدى الاسلامية فى السودان التى لو قدر لها الحياة لتغير وجه أفريقيا والمشرق العربى وانتهاءاً بثورة ايران الأخيرة تحت زعامة القائد الاسلامى آية الله الخمينى مرورا بالزعيم الثائر جمال الدين الأفغانى الذى وقف للاستعمار بالمرصاد وطارده فى كل مكان وكان أباً روحيا لكثير من المفكرين والدعاه والحركات الاسلامية .

وكذلك الثورات الاسلامية المتواصلة فى الجزائر بقيادة عبد القادر الجزائرى وابن باديس وجمعية العلماء الأمر الذى جعل الميثاق الوطنى الجزائرى وهو الميثاق العلمانى يقر لها بهذا الدور الهام معتبراً أن الاسلام كان **الحصن المنيع الذى مكن الجزائريين من الصمود فى وجه جميع محاولات النيل من شخصيتها ، فقد تحصن الشعب الجزائرى بالاسلام دين النضال والصرامة والعدل والمساواة واحتمى به فى احلك عهود السيطرة الاستعمارية واستمد منه تلك الطاقة المعنوية والقوة الروحية التى حفظته من الاستسلام لليأس وأتاحت له اسباب الانتصار »** .

وفى المغرب قام المجاهد عبد الكريم الخطابى الذى هزم

الجيوش الاسبانية وواجه جيشا فرنسيا جرارا اشترك فيه الاسطول والطيران على خط قتال امتد ٤٥٠ ميلا .

وفى ليبيا كان للحركة السنوسية والمجاهد عمر المختار دور هام فى مقاومة الطليان الذين جاءوا بما يقارب المائة الف جندى لابادة الشعب الليبى المسلم .

وفى فلسطين قاد الشيخ عز الدين القسام الذى كان تلميذا للشيخ محمد عبده ثورة ضد الانجليز حتى استشهد فاستمرت بعده بلا انقطاع ، وفى عام ١٩٤٨ خاض الاخوان المسلمون قتالا مشرفاً اذهل الجميع وكشف عن خطورة هذه الجماعة المؤمنة على مصالح الاستعمار والصهيونية .

ولكن الاستعمار حاول عزل كل هذه الثورات والحركات الاسلامية وقاد مع أعوانه وتلاميذ تيار التغريب حملة مضادة افتتحها فرح انطون بكتابه عن ابن رشد وفلسفته (١٩٠٢) هذا الكتاب الذى كان نسخة مشوهة عن كتاب المفكر الفرنسي « ارنست رنيسان » عن « ابن رشد والرشدية » (١٨٥٢) ثم تبعه على عبد الرازق الذى طالب فى كتابه « الاسلام واصول الحكم » بفصل الدين عن الدولة مقتدياً بما فعله الأوربيون متناسياً او متجاهلا بأن الصدام الذى حدث فى أوروبا مرفوض وليس منطقياً حدوثه فى مجتمعنا الاسلامي لأسباب عديدة لا مجال هنا لمناقشتها

وان كان يكفى أن نشير الى أن الصراع الذى نشأ بين الكنيسة التى تحمل وجهة النظر المسيحية فى العزوف عن الحياة والسعى وراء الكسب وبين البرجوازية الصاعدة لم يكن بالامكان حدوثه هنا فالاسلام بالاضافة لكونه جاء بتنظيم اكثر شمولا فى كل جوانب الحياة الانسانية فانه لم يطالب اتباعه الا بأن يكونوا أكثر فعالية فى الجانب الدنيوى ، الشيء الذى سيشبع رغبات ويحقق طموح أى قوة صاعدة فاعله .

ثم كان أحمد لطفى السيد الذى دعا الى « تجنيس » الاجانب فى مصر فى وقت كان هؤلاء يسيطرون على ألحياه الاقتصادية تقريباً وكأنه يدعو أن يمتد هذا الأثر الاقتصادى الى الحياة السياسية . وطه حسين الذى دعا فى كتابه « مستقبل الثقافة » الى اذابة الأمة المصرية فى الحضارة الاوروبية « **خيرها وشرها ، حلوها ومرها ما يحب منها وما يكره ، ما يحمد وما يعاب** » على حد تعبيره وهذا اخيراً لويس عوض فى اهرام ٧ ــ ابريل ــ ١٩٧٨ يعتب علينا أننا علمنا أبناءنا تاريخ طارق وصقر قريش وصلاح الدين أكثر مما علمناهم تاريخ على بك الكبير ومحمد على والخديوى اسماعيل . . »

وعلى حين كانت هذه الأفكار الليبرالية تشق طريقها فى أوساط رجال الفكر والادب كان الوجه الآخر للعملة هو وصول الأنظمة الليبرالية الى سدة الحكم كأول بديل منظم عن الاسلام ولكن هذه الأنظمة التى لم تستمر من الليبرالية

الغربية الا شكلها ـ ويبدو أنه لم يكن باستطاعتها غير ذلك ـ سرعان ما اعلنت عجزها عن الاستمرار في مزاعمها حفظ هذه الأمة وتدعيم مسيرتها الوطنية وجاءت هزيمة ١٩٤٨ لتعلن :

١ ـ عدم وعى الانظمة الليبرالية لطبيعة الصراع .

٢ ـ عدم قدرتها على المواجهة مع العدو للنهاية .

٣ ـ عجزها عن تحقيق التحديث ضمن استقلال وطني حقيقي . هذا فضلا عن :

٤ ـ عدم اصالتها وطروئها على المجتمع الاسلامي .. ولكن تيار العلمانية والتغريب لم ييأس بهزيمة الليبرالية وحاول انقاذ نفسه وقطع طريق العودة على الحل الاسلامي الذي لاح في الأفق فطفت ظاهرة الانقلابات العسكرية التي كان لاجهزة المخابرات الامريكية دور الأسد فيها وبدأت ما سميت بالاشتراكيات الثورية تأخذ دورها كبديل جديد واذا كانت الأنظمة الليبرالية قد مارست دورها عن طريق وضع العوائق أمام الحركة الاسلامية ومحاولة اضعافها بالغزو والقهر الفكرى احياناً وبالعزل السياسي احياناً اخرى فقد مارست الأنظمة الاشتراكية العسكرية دورها عن طريق التصفية الجسدية للحركة الاسلامية فضلا عن القهر الفكرى والعزل السياسى ، وكان الاشتراكيون والفوضويون يعاملون الحركة الاسلامية كخصوم سياسيين (بل ودون ذلك بكثير) لا كخصوم ايديولوجيين ، لانهم ـ كأحد الاسباب

ففط ـ يدركون أن المعركه بوجهها الثـانى تعنى سـقوط الاقنعة ولسنا هنا بصدد تقييم التجربة الاشـتراكية التى سرعان ما جاءت هزيمة ١٩٦٧ لتعلن ما سبق ان أعلنتـه هزيمة ١٩٤٨ فى المواجهة الكبرى بين الأمة العربية والاسلامية وبين الاستعمار الجديد والصهيونية فى الحملة الصليبية العاشره التى بدأت عام ١٩٤٨ ولا زالت نارها تستعر .

ورغم أن شهادة الوفاة قد وقعت للانظمة الاشتراكية العسكرية أو التورية او الفوضوية (سمها ما شئت) كما وقع لشقيقتهما الاخرى فى تيار التعذيب « الليبرالية » رغم توقيع شهادة الوفاه الا انه يبدو أن الدفن لم يتم بعـد .. فى محاولة يائسة لاعادة الحياة للجثث التى زكمت رائحتها الانوف ، وكما مضت سنة التاريخ على الشاه الذى حاول كأحد معاقل الليبرالية ان يستعصى على الدفن فانها ستمضى على الآخرين وسـينتهى الزمان الذى تنشر فيـه مجـلة كمجلة « جيش الشـعب » السـورية مقالا تعلن فيه موت الله **(تعـالى عمـا يقولون علواً كبيراً)** وذلك عشـية الهجـوم الاسرائيلى على الجـولان .. كما سـينتهى الزمان الذى يستغرق الكفاح ضد الصـهيونية مناضلا عربيا ينتمى الى منظمة ثورية يستشهد شـبابها المسـلم كل يوم بينما هو

يكتب لنا عن محنة ابليس فى القرآن « صـادق جلال العظم فى نقد الفكر الدينى » . كما ستختفى أصوات كهذا النشاز الذى صـدر فى الذكرى السـادسة لنكبة ١٩٦٧ (ربمـا بالصدفة) عن دار العودة للماركسى العراقى هادى العلوى (فى الدين والتراث) ليعلن بكل وقاحة ((**مبدئياً ليس بين الاسلام والاستعمار تناقض فالاستعمار لا يحارب الأديان لأنها اصلا لا تحاربه والاسلام كعقيدة لا شأن له بالاستعمار**)) ويصيح مرة اخرى ((**ان الايديولوجية الثورية تتعارض فى جوهرها مع الدين وليس للدين بدوره ان يقدم أى مساهمة فى كفاحنا الحالى ضد الاستعمار والامبريالية** .

هل قرأ هذا (المناضل) تاريخ امته ! أم أنه كمناضـل ثورى لا يجوز له النظـر الى الوراء .. ان كان كذلك فان **فى كفاحنا الحالى ضد الاستعمار والامبريالية** .

وقفة مع الحركة والثورة الاسلامية

فى الوقت الذى كان فيه التحدى الغربى الحديث يخترق حـدود بلادنا محاولا تنحيـة الايديولوجية الاسـلامية عن القيادة ومحاولا طرح بدائله ظهرت الحركة الاسـلامية كرد فعل طبيعى لهذا الغزو ولسقوط الخلافة وكان لظهورها فى العشرينات كتيار احتماعى فعال فى المجتمع الاسلامى أثره الكبير فقد بدأت خطوات جادة على طريق البعث الاسـلامى لاعادة الأمة المسلمه الى الوجود والتأثير الدولى مرة أخرى ،

فنجحت الى حد كبير فى ارجاع التوازن النفسى للمجتمع الاسلامى وادت دورها فى عملية التصفية النفسية للفرد وللمجتمع الاسلامى ليتخلص من عقدة النقص تجاه التحديات القادمة وقد عبر **المفكر الاسلامى توفيق الطيب** فى كتيبه **(ما بعد النكبتين)** الذى صدر عام ١٩٦٨ ـ والذى يعد من أهم الأوراق الاسلامية التى صدرت بعد نكبة ١٩٦٧ ـ عبر فيه عن المأمول من هذا الدور قائلا : لم يعد هناك عذر لمثقف مسلم بعد اليوم أن يطالع كتابا أوروبيا مفنونا بل دارسا وناقدا ، ولا يقف أمام لوحة لا يفهمها معجبا بل متأملا ومتذوقا ولا أن يقف أمام آلة مبهورا بل متعلما ومسيطرا أو معللا وربما يصبح يوما معلما أو كما يريده القرآن الكريم شاهداً » .

ولقد نمت الحركة الاسلامية التى خرجت من وسط وبدعم الجماهير الشعبية بطريقة ادهشت المراقبين مؤكدة ما جاء فى كتاب Whither Islam الذى كتبه جماعة من المستشرقين باشراف مستشار الخارجة البريطانية هـ . أ . جيب . « ان الحركات الاسلامية تتطور بسرعة مذهلة تدعو الى الدهشة .. فهى تنفجر انفجاراً مفاجئاً وقبل أن يتبين المراقبون من اماراتها ما يدعوهم الى الاسترابه فى امرها .. فالحركات الاسلامية لا ينقصها الا وجود الزعامة .. لا ينقصها الا ظهور صلاح الدين » .

ولقد استطاعت حركة كحركة الاخوان المسلمين مثلا أن تكون أكبر تجمع جماهيرى فقد دخلت قرى مصر ومدنها

ودخلت الجيش والجامعات ، وكان السر فى هذا التجمع الجماهيرى على حد تعبير ماركسى مصرى ـ كتب بدون حس محايد أو موضوعى مقدمة تحليلية لترجمة كتاب ريتشارد ميتشل عن الاخوان المسلمين ـ كتب يقول « انهم انطلقوا من ايديولوجية قادرة على جذب أوسع الجماهير » ثم « انهم ابتوا فى التنظيم المحكم والقوى والفعال مهارتهم حتى انهم سحبوا من خصومهم التقليديين ـ الشيوعيين ـ شعاراً من أهم شعاراتهم الكلاسيكية وهو شعار التنظيم الحديدى فطبقوه بينما ظل عند الآخرين فى الأغلب الأعم مجرد شعار » .

والثورة الاسلامية فى انبعاثها كانت تسعى لتوحيد المسلم مع شخصيته ونظريته ورفض الجاهلية القائمة والطواغيت الذين صنعوا التناقض والأزمة فى حياة الفرد والمجتمع الاسلامى الذى يحمل ايديولوجية ويرى واقعاً مغايراً تماماً .. واقع الظلم واللا مساواة .. والعملية التغيرية التى سيتم بها التوحيد تنتظم فى قضيتين هما وجهان لنفس العملة فالايديولوجية الاسلامية كمنهج ربانى واقعى اخلاقى ايجابى وعالمى تتضمن حلولا لكل مشاكل المجتمع المعاصر ولكن هذه الحلول ستبقى ثرثرة مثقفين يلوكونها فى لحظات من النشوة ما لم تتسلح بها الجماهير وتتحرك لتطبيقها وتناضل فى سبيلها وتخوض الصراعات السياسية من أجل ذلك ، وقد يتصور البعض كما تصور شاه ايران وغيره من أن هذه المشاكل يمكن حلها فى المجتمع الاسلامى

بمجرد تحقيق الشروط الموضوعية للحل او بعضها فقط (المال والتكنولوجيا المربية) دون الأخذ فى الاعتبار الشروط الذاتيه هذه الشروط التى ترى فيها الثورة الاسلامية وترى فى استيعابها الجناح الآخر مع الشروط -الموضوعية لتحقيق النهضة ، وهذا الشرط الذاتى الذى نقصد من تحقيقه هنا تعبئة الجماهير فى اى معركة سواء معارك التنمية او الجهاد العسكرى لن يتحقق الا من خلال البعث الاسلامى للامة ونفض غبار تيارات التغريب والقضاء على ظواهر الازدواجية والتلفيق والانفصام .

وهنا يبرز الوجه الآخر للعملة وهو كيفية الصياغة الثورية للفكر الاسلامى ، الصياغة التى تستطيع الحركة الاسلامية بها ومن خلالها اقامة الجسور القوية مع الجماهير المسلمة بحيث تدرك هذه الجماهير معنى ارتباطها بالحركة الاسلامية ودور هذا الارتباط فى الحفاظ على تاريخها وتراثها ومصالحها وبحيث يصبح الجسد الاسلامى جسدا وحدا اذ اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى كما حدثنا الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام ..

وعملية الصياغة التى يبدو أن الحركة الاسلامية فى ايران قد نجحت فيها كما سيتبين من الفصل القادم وبقية الفصول تحتاج الى اعتماد الحوار الداخلى والنقد ـ والنقد الذاتى خطوة أولى على الطريق ـ ذلك الحوار الذى ربما عطلته حتى الآن الحساسية الشديدة لدى الحركة الاسلامية

تجاه النقد والذى ربما يكمن سرها فى أن الاباطيل والاكاذيب التى اشيعت عنها كانت أكبر من أن تحتمل بدون رد فعل بل كانت من الكثافة بحيث تكفى فعلا لعزل هذه الحركة عن جماهير المسلمين خاصة وقد توفر لهذا الجو من الأكاذيب شرطين هامين :

١ ـ غياب الحركة الاسلامية عن الساحة وصمتها القسرى نتيجة لعملية الاعتقال والتصفية .

٢ ـ فقدان العقل العربى والمسلم فى مرحلة تعدد الألوان ومرحلة التمويه والارهاب للحاسة النقدية هذا الافتقاد الذى ضرب الوعى الاجتماعى للامة فى الصميم فشله عن الرؤية الصحيحة ولو مرحليا وربما كان من أرخص هذه الاكاذيب واخبثها ما لفقه رفعت السعيد فى كتابه عن الامام حسن البنا (مكتبة مدبولى ـ ١٩٧٧) والذى اهداه الى كل من يعمل من أجل عصر تنوير جديد لمصر ويصد عنها غارات التتار الجدد ـ مالفقه على لسان الامام التمهيد فى موضوع الشورى مشيراً ببجاجة الى أن ما نقله موجود فى رسالة ـ مشكلاتنا فى ضوء النظام الاسلامى ص ٦٠

راجع صفحة ٩٢ فى كتاب السعيد وقابله على رسالة الاستاذ البنا) لتدرك اى تنوير يطالب به هؤلاء ومن هم التتار الجدد ورغم ذلك فاننى اكرر أن هذه الحساسية يجب أن لا تقف حائلا دون المطلب الأول والاساسى داخل الحركة الا وهو الحوار الداخلى المسموع والنقد الذاتى وهذا سيقود

بالتأكيد الى تهيئة الجو ، لتقديم الدراسات العلمية التحليلية للواقع الذى جاءت الحركة لتغيره . كما سيحقق مطلبا ضروريا آخر وهو ايجاد تصور اسلامى عن المشاكل الرئيسية فى العالم الاسلامى وطبيعتها وأولوياتها ثم برنامج موحد للعمل يبدأ من تحديد المنطلقات والوسائل وبفهم العلاقة الجدلية بينها ثم تحديد الأهداف النهائية للحركة والأهداف المباشرة والغير مباشرة .

الفصل الثانى

الامام الخمينى .. المفكر والمناضل

فى فصل قادم سنتكلم عن اصول الفكر الشيعى وكيف ظهر ، كما سنتحدث فى فصل آخر عن تنظيمات الحركة الاسلامية فى ايران ودورها . اما فى هذا الفصل فسنعرض لفكر الحركة الاسلامية من خلال فكر قائدها الامام آية الله الخمينى هذا الزعيم الذى بدأ اسمه يطرق اسماع المسلمين والعالم منذ بداية الستينات كرمز وملهم وقائد للثورة الاسلامية فى ايران والتى اصبحت نموذجاً عظيماً وفريداً فى تاريخ الثورات الانسانية .. ومنذ بداية حياته كان الامام طالباً واسع الطموح الى العلم متميزاً بالورع والتقوى والزهد وقد بدأ يظهر فى الاوساط العامة والشعبية منذ الاربعينات من خلال حلقات التدريس فى المدرسة الفيضية فى مدينة « قم » حيث التف حوله آلاف الطلبة .. الذين لم يشغل نفسه باصطناعهم كدراويش ومريدين بل اعدهم كقواعد للاحتجاج والثورة .

وفى اثناء ازمة البترول وحكومة مصدق (١٩٥١) كان الامام الخمينى قريباً من الزعيم الاسلامى الكبير آية الله الكاشانى » وآية الله الكاشانى هو الرجل الذى دوى صوته

في جميع أنحاء الدنيا ـ « **ايها الكلاب الانجليز .. اتركوا لنا بترولنـا وأخرجـوا من بلادنا** » وهـو الذى كان الدعامـة الروحية لثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق ١٩٤١ وكان مع الكيلانى والحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين يشـكلون ثالوثاً يحكم بغداد فى تلك الأيام وعنـدما فشـلت الثـورة صحب الكيلانى والحسينى معه الى ايران .

ولقد بلغ من قوة الرجل أنه عندما اغتال الفدائى المسلم « خليل طهمسبى » عضو منظمة « فدائيات اسلام » (رزم آراه) رئيس الوزراء الايرانى أن أصـدر آية الله الكاشانى بياناً قال فيه « **ان الرصاصات التى أردت رزم اراه قتيلا ، كانت رصاصات مباركة مصـحوبه بتوفيـق الله** » ثم وجه رسالة مثيرة الى الشاه يقول فيها :

« **هو العزيز**

يا ابن بهلوى

يجب ان تعتذر لخليل طهمسبى عما لحقه من عناء من جراء القبض عليـه ويجب أن تطلق سراحه بشرف وكرامة قبل أن تمر ثلاثة ايام والا فان جميع المسئولين عن القبض عليه سـينزل بهم نفس العقاب الذى نزل « برزم آراه » ، يجب أن تطلق سراح رجلنا القدس خلال هذه الأيام الثلاثة ، ان لم تفعل هذا فانت تقترب من الجحيم خطوة » .

والكاشاني هو الذى بقى وراء مصدق يدعمه حتى اوصله الى السلطة ، وقصة المظاهرة الضخمة التى قادها فى ايران يوم ان احيط منزل آية الله الكاشانى بسياج من رجال الأمن لمنعه من القيام بتلك المظاهرة التى ستدعم مصدق . يومها نظر آية الله الكاشاني الى ولده السيد محمد كاشانى قائلا : **هاتوا الكفن** وجاءوه بالقماش الذى اعده لكفنه فلف نفسه فيه ثم تحرك بين اتباعه خارج المنزل المطوق برجال الأمن المدججين بالسلاح ووقف الجميع مشدوهين بلا حراك أمام هذا الكفن الذى يمشى على قدمين ونسى رجال الأمن مهمتهم امام جلال وهيبة الموقف . ومر آية الله الكاشانى وسرى النبأ فى طهران لتخرج أكبر مظاهرة شعبية فى تاريخ ايران حتى ذلك الوقت .

وقبل ان نعود مرة أخرى الى الامام الخمينى نشير الى ما ذكره الكاتب الأمريكى روبير جاكسون فى كتابه عن حسن البنا ((**ولو طال عمر هذا الرجل (الامام البنا) لكان يمكن أن يتحقق الكثير لهذه البلاد ، خاصة لو اتفق حسن البنا وآية الله الكاشانى الزعيم الايرانى على أن يزيلا الخلاف بين الشيعة والسنة ، ولقد التقى الرجلان فى الحجاز عام ١٩٤٨ ، ويبدو انهما تفاهما ووصلا الى نقطة رئيسية لولا أن عوجل حسن البنا بالاغتيال**)) هذه الاشارة تدل على ضرورة واهمية وخطورة مثل هذا التقارب بين الكاشانى والبنا فى الماضى وما هو مطلوب من تقارب بين الخمينى وبقية الحركات الاسلامية فى العالم الآن ويعلق أحد اتباع

الامام البنا على حديث جاكسون قائلا « فما باله لو ادرك عن قرب دوره في هذا المجال (التقريب) .. مما لا يتسع لذكره المقام » .

ولقد كان الامام الخميني من موقع المقرب من آية الله الكاشاني يراقب ويشارك في كل ما يجري من احداث هامة معداً نفسه للمهمات التاريخية القادمة وعندما اعلن شاه ايران « **الثورة البيضاء** » قاوم الامام الخميني الشاه بكل قوة ونشاط ليكشف زيف هذه الثورة منطلقاً من قناعته بأن السلطة الايرانية مرتبطة اساساً بالاستعمار وتابعة له وهي بالتالي تصدر في حركتها عن أوامر وتوجيهات الاستعمار وقاد وقتها انتفاضة الجماهير الشعبية ٥ - ٦ - ١٩٦٣ .. التي قدم فيها الشعب المسلم آلاف الشهداء الذين سقطوا برصاص الشاه والتقى الشاه وقتها بالخميني الذي اسمعه كلاماً قاسياً لم يتحمله كبرياء الشاه فخرج الأخير غاضباً طالباً من مدير امنه أن يأخذوا الامام الى تركيا حيث بقي هناك حوالي عام انتقل بعدها الى النجف الاشراف في العراق .

٢

هذا ويعتبر جمهور وعلماء الشيعة أن الزعامة العليا لهم مقسمة بين الامام آية الله الخميني الذي يتبعه اغلب المسلمين الشيعة في ايران والباكستان والهند وافغانستان وبين المرجع الديني السيد ابو القاسم الخوئي الموجود في

العراق .. ويمثل الامام الخميني التيار المتحرك الذى يريد اعادة الحيـاة للدين الاسـلامي كأيديولوجية تعـالج جميع جوانب الحياةوذلك عن طريق اقامة الحكومة الاسلامية بينما يمثل السيد أبو القاسـم الخوئى اتجاها تقليـدياً يحـاول الابتعاد عن المعارك السياسية .

وينطلق الامام الخميني من فهمه الاسلام بمعناه الشمولى الثورى « **الاسلام هو دين المجاهدين الذين يريدون الحـق والعدل . دين الذين يطالبون بالحرية والاستقلال والذين لا يريدون أن يجعلوا للكافرين على المؤمنين سـبيلا** » .. (كتاب الحكومة الاسلامية ـ ١٣٨٩ هـ ـ ص ٨) ويهاجم التصور الذى حاول الاستعمار ادخاله الى بلادنا أثناء عملية الغزو الفكري والعسكرى والقائل بأنه لا علاقة للاسلام بتنظيم الحيـاة والمجتمع ، وبأنه فقط الحيض والنفاس ، وقـد تكون له أخلاقيات ولكنه لا يملك بعد ذلك من أمر الحيـاة وتنظيم المجتمع شيئا » ويعتقد أن هذا التصور قد جاء من خلال النشاط الاستعمارى الذى برز منذ ثلاثة قرون لأن أكبر ما يمنعهم من نيل مآربهم ويضع خططهم السياسية على شفا جرف هار « هو الاسلام باحكامه وعقائده وبما يملك الناس به من ايمان .

ويهاجم بسخرية وبشـدة من أسـماهم « **المتظاهرين بالقداسة البلهاء** » من رجال الدين الذين يصورون الاسلام نظاماً روحانياً لا علاقة له بالسياسة والشئون الاجتماعية

طالباً اعتبارهم اعداء من الداخل ((**لأن هؤلاء لا يهتمون بما يجرى ويحولون بين العلماء الحقيقيين وبين تسلم السلطة والأخذ بزمام الأمور ، فهؤلاء يوجهون أكبر لطمة للاسلام..))** ص ١٤٠ ــ الحكومة الاسلامية ــ وهو يطالب بتطهير المراكز الدينية من فقهاء **ووعاظ السلاطين** كما اسماهم ، ورفضهم قائلا : **((هؤلاء ليسوا بفقهاء .. وقسم منهم قد البستهم دوائر الأمن والاستخبارات العمائم لكى يدعو الله للسلطان ويستنزلوا عليه بركاته ورحماته)) ((هؤلاء يجب فضحهم لانهم أعداء الاسلام ، يجب على المجتمع أن ينبذهم ففى نبذهم واحتقارهم نصر للاسلام ولقضية المسلمين ، يجب على شبابنا وأبنائنا انتزاع عمائم هؤلاء من فوق رؤوسهم ... لا اقول اقتلوا .. هؤلاء فلتنزع عنهم عمائمهم على الأقل (صفحة ١٤٣ ــ الحكومة الاسلامية) .**

كما يقول فى بيان أصدره بتاريخ ٢١ ــ شعبان ــ من العام الماضى **((يجب أن يدعو أئمة الجماعة المحترمون خطباء مؤمنين وحريصين على الحركة الاسلامية وذوى الأهداف السامية لكى يتحملوا مسؤلية توعية الناس وعليهم أن يتجنبوا بشدة دعوة ((وعاظ السلاطين)) والأشخاص الذين يحمون مصالح النظام بعلم أو بدون علم بانتخابهم موضوعات تلهى الشعب عن القضايا الرئيسية المعاصرة)) .**

ويقف الامام آية الله الخمينى موقفاً اســـلامياً وثورياً ورائعاً عندما يقف فى وجه بعض الشيعة الذين يجلسون فى

انتظار المهدى ليقيم حكم الاسلام وليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت ظلماً وجوراً وقول البعض منهم : انه ينبغى اشاعة المعاصى كى يظهر المهدى بمعنى ان الفواحش اذا لم تنتشر فان المهدى لن يظهر . يرد على هؤلاء قائلا : ((**قد مر على الغيبة الكبرى لامامنا المهدى أكثر من الف عام وقد تمر ألوف السنين قبل أن تقتضى المصلحة قدوم الامام المنتظر ، فى طول هذه المدة المديدة .. هل تبقى أحكام الاسلام معطلة ؟ يعمل الناس فى خلالهـا ما يشـاءون ؟ ألا يلزم من ذلك الهـرج والمرج ؟ القوانين التى صدع بها نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم وجهد فى نشرها وبيانها وتنفيذها طيلة ثلاثة وعشرين عاماً ، هل كان كل ذلك لمدة محـدودة ؟ هل حدد الله عمر الشريعة بمئتى عام مثلا ؟ هل ينبغى أن يخسر الاسلام من بعـد الغيبة الصـغرى كل شىء ؟ الذهاب الى هذا الرأى أسوأ فى نظرى من الاعتقاد بأن الاسلام منسوخ .**

فلا يستطيع احد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول انه لا يجب الدفاع عن ثغور الوطن أو أنه يجـوز الامتناع عـن دفع الزكاة والخمس وغيرها أو يقول بتعطيل القانون الجزائى فى الاسلام ـ وتجميد الأخذ بالقصاص والديات . اذن فان كل من يتظاهر بالرأى القائل بعدم ضرورة تشكيل الحكومة الاسلامية فهو ينكر ضرورة تنفيذ الاحكام الاسلامية ويدعو الى تعطيلهـا وتجميـدها وهو ينكر بالتالى شـمول وخلود الدين الاسلامى الحنيف)) ص ٢٦ من المرجع السـابق .

ويتجاوز الامام الخميني الكثير من التفسيرات الشيعية للامامة معتبراً أن العلم بالقانون والعدالة هي أهم أركان الامامة ويقول « **فرأى الشيعة في من يحق له أن يلي الناس معروف منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى زمان الغيبة فالامام عندهم فاضل عالم بالأحكام والقوانين وعادل في انفاذها لا تأخذه في الله لومة لائم** » ص ٤٧ . ويقول ص ١٩ « **الخليفة ليس مبلغ قوانين او مشرعاً انما الخليفة يراد للتنفيذ** » وفي ص ٢٨ « **فالقرآن المجيد والسنة الشريفة يحتويان على جميع الأحكام والأنظمة التي تسعد البشر وتنحو به نحو الكمال** » وعن وحدة المسلمين يرى الامام الخميني ضرورة وحدة البلاد الاسلامية التي جزأها الاستعمار وحول أهلها الى شعوب وينظر للدولة العثمانية كدولة موحدة حاربها الاستعمار « **عند ظهور الدولة العثمانية كدولة موحدة سعى المستعمرون الى تفتيتها ، ولقد تحالف الروس والانجليز وحلفاؤهم وحاربوا العثمانيين ثم تقاسموا الغنائم كما تعلمون** » وهو وان ينتقد اكثر حكام العثمانيين الا انه يرى أن الاستعمار كان يخشى من وصول بعض ذوي الاصلاح الى منصة القيادة « **فيبدد كل آمال الاستعماريين واحلامهم ، لهذا السبب ما لبثت الحرب العالمية الأولى أن انتهت حتى قسموا البلاد الى دويلات كثيرة وجعلوا على كل دويلة منها عميلاً لهم ..** » ص ٣٤ ، ٣٥ .

وهذا الموقف يذكرنا بموقف علماء الشيعة الذين أفتوا بفرض الجهاد على كل مسلم ومسلمة دفاعاً عن الدولة العثمانية عندما دخلت الجيوش البريطانية الى البصرة بالعراق ويرى الامام الخميني أن الوسيلة لتوحيد الأمة **« هي اسقاط الحكومات العميلة له** (الاستعمار) . » ثم **« ان السعي الى اقامة حكومتنا الاسلامية وهذه بدورها سوف تتكلل بالنجاح يوم تتمكن من تحطيم رؤوس الخيانة وتدمر الأوثان والأصنام البشرية والطواغيت التي تنشر الظلم والفساد في الأرض »** (ص ٣٥) ويسهب الامام في البحث عن ادلة ضرورة تشكيل الحكومة من القرآن والسنة وينتهي الى تحريم التحاكم الى حكام الجور كما اسماهم وعندما يتكلم عن الحكومة الاسلامية يرى أنها لا تشبه الاشكال الحكومية المعروفة لأنها ليست مطلقة ليستبد رئيس الدولة برأيه ولكنها دستورية وأن كانت ليس بالمعنى المتعارف عليه لكلمة دستوري التي تعني النظام البرلمائي أو المجالس الشعبية وانما بمعنى تقيد القائمين على الأمر بمجموعة من الشروط والقواعد المبينة في القرآن والسنة ، وأن كان ممثلي الشعب والملك هم الذين يقننون ويشرعون في التنظيم الدستورية **« فان سلطة التشريع في الاسلام تنحصر بالله عز وجل وليس لأحد أياً كان أن يشرع وليس لأحد أن يحكم بما لم ينزل الله به من سلطان ، ولهذا السبب فقد استبدل الاسلام المجلس التشريعي بمجلس آخر للتخطيط »** ص ٤٢ وحكومة الاسلام حكومة قانون ، الحاكم هو الله وحده كما

انها ليست ملكية ولا شاهنشاهية ولا امبراطورية تغرق فى البذخ والترف ولكن كيف السبيل الى تشكيل حكومة اسلامية .. انه ((سبيل النضال)) ((**فالأفكار تبدأ صغيرة ثم تكبر ، ثم يتجمع من حولها الناس ثم تكتسب القوة ثم تأخذ بيدها زمام الأمور)) ص ١١٩ .**

ولهذا فهو يرى أن الحركة الاسلامية يجب ان تلتحم مع القواعد الجماهيرية وتعمل بشكل دائب على توعيتها وتنويرها وفضح اساليب خداعها وطرق امتصاص نقمتها وأساليب المتاجرة بقضاياها ونرى ذلك فى البيان الذى اصدره فى ١٥ ـ شوال بمناسبة زلزال خراسان فى العام الماضى ((**يا كل جماهيرنا المسلمة فى ايران احذروا اساليب السلطة ولا تسمحوا لحوادث الزلزال والسيول وما شابه ذلك أن تنحرف بكم عن مسيركم ولا تسمعوا لابواق الشاه الدعائية واستمروا فى ثورتكم الاسلامية حتى اسقاط النظام الاستبدادى القائم على اذلال الشعب وقهره وعلى رجال الدين فى هذا الوقت الذى يستغل الشاه حوادث الزلزال لأغفال الشعب عن قضيته ، أن يتحملوا مسئوليتهم الدينية الثقيلة فى توعية الناس بهذه الأساليب الدنيئة .. وعلى السياسيين والمثقفين والجامعيين أن يؤادوا رسالتهم الاسلامية ولا يسمحوا للسلطات ان تنحرف بالثورة او ان تخمد جذوتها)) ..**

وعندما حاول الشاه ادخال بعض التغييرات الاسلامية الشكلية لسحب البساط من تحت أقدام رجال الدين وذلك عن طريق وزارة جعفر شريف أمامي فضح الامام الخميني ذلك الاسلوب في بيان أصدره في ٢٣ ــ رمضان ــ ١٣٩٨ قائلا « .. **وأما اغلاق نوادي القمار أمر لا قيمة له وانه مكر آخر لتضليل جناح رجال الدين .. انما يغلقون نوادي القمار باحترام الاسلام ! في الوقت الذي لم تزل سائر مراكز الفحشاء في مكانها !! ولا يزال الظلم والقتل والنهب تصرفات عادية لدى جلادي الشاه ، بالرغم من قوانين الاسلام وآيات القرآن الكريم !! .**

يدعون اعطاء الحرية في الوقت الذي لم يزل افضل وأعز أبناء الاسلام وابناء ايران في السجون والمعتقلات وتحت التعذيب الملكي أو يعيشون في المنفى !! .

ولقد نجح الامام الخميني بهذا الأسلوب وأصبحت اشرطة الكاسيت ومنشوراته هي الخبز اليومي للجماهير المسلمة في ايران . ويركز على الكلمة والدعوة في دور البعث قائلا قبل عشر سنوات « **انتم اليوم لا تملكون دولة ولا جيشاً ولكن تملكون ان تدعوا فلم يسلبكم عدوكم هذه القدرة على الدعوة والتوجيه والتبليغ » « علينا ان نسعى لوضع حجر الأساس للدولة الإسلامية الشرعية فندعوا ونثبت الأفكار ونصدر تعليماتنا ونكسب المساندين والمؤيدين لنا ، ونوجد أمواجاً من التوجه الواعي والارشاد المنسق للجماهير**

ليحصل رد فعل جماعي تكون على أثره جموع المسلمين الواعية المتمسكة بدينها على أتم الاستعداد للنهوض باعباء تشكيل الحكومة الاسلامية » ص ١٢٠ ــ وينادي الامام بالتركيز على صفوف الجامعيين في الدعوة لأنهم أكثر تفتحا من غيرهم واشد الناس عداوة للتسلط والعمالة والخيانة وعمليات نهب الخيرات والثروات كما يدعو للاستفادة مما اتاحه لنا الاسلام من فرص اللقاء التي قد لا تتحقق لغير المسلمين الا بصعوبة مثل صلاة الجماعة والحج والجمعة » **« فما علينا الا ان نعتبر هذه الاجتماعات فرصاً ذهبية لخدمة المبدأ والعقيدة لنبين فيها العقائد والأحكام والانظمة على رؤوس الأشهاد فعلينا أن نفيد من موسم الحج ونجني منه اطيب الثمار في الدعوة الي الوحدة والدعوة الى تحكيم الاسلام في الناس كافة وعلينا أن نبحث مشكلاتنا ونكتشف ما وضعه لها الاسلام من حلول جذرية »** ص ١٢٥ **« يا ابناء الاسلام كونوا اشداء اقوياء في بيان حجتكم للناس لتغلبوا عدوكم بكل اسلحته وعسكره وحرسه ، بينوا الحقائق للجماهير واستنهضوهم ، وانفخوا في اهل السوق والشارع وفي العامل والفلاح والجامعي روح الجهاد .. الجميع سيهبون للجهاد » ..**

هذه كلمات الامام الخميني منذ اكثر من عشر سنوات نراها واقعاً حياً في شوارع ايران .. نشهدها وقد اتت اكلها وثمارها في كل مواطن فهذا مراسل احدى المجلات الأمريكية يسأل مواطناً عادياً لم لا يذهب ابنه للمدرسة

فيجيبه المواطن المسلم : ((**أى مدرسة هذه .. لماذا لا يذهب ويستشهد فى سبيل دينه ؟**)) واذا كان الامام الشهيد **سيد قطب** قد دعى الى عملية البعث هذه وفهم كم هى شاقة وطويلة واعلن ((**وأنا أعرف المسافة بين محاولة البعث وبين تسلم القيادة مسافة شاسعة**)) فان الامام الخمينى يضع هذا فى تصوره وحسبناته فيقول ((**نحن لا نتوقع أن تؤتى تعليماتنا وجهودنا أكلها فى زمن قصير لأن ترسيخ دعائم الحكومة الاسلامية يحتاج الى وقت طويل وجهود مضنية**))

وهو يحذر شباب المسلمين والجماهير من أكاذيب الاستعمار وعملائه مما يحاولون ان يلقونه فى روعنا من ان السياسة خبث ومكر ودهاء وذلك ليصرفونا عنها ثم يعبثون هم بأمور الأمة كيفما شاءوا ، كما يطالب الشباب المسلمين أن يخرجوا من عزلتهم ويكملوا برامجهم الدراسية ويركبوا الصعاب من اجل ذلك كى يخططوا للحكومة الاسلامية التى ستقوم بعد ازالة الحكومة الجائرة التى يرى أن ازالتها ستتم بعد عملية الدعوة والبعث من خلال :

١ ـ مقاومة المؤسسات التابعة للحكومة الجائرة .

٢ ـ ترك التعاون معها .

٣ ـ الابتعاد عن كل عمل يعود نفعه عليها .

٤ ـ تأسيس مؤسسات قضائية ومالية واقتصادية وسياسية وثقافيه جديدة .

***

وتبقى هناك قضية هامة فى فكر الامام الخميني وممارسة الحركة الاسلامية فى ايران الا وهو موقفها من قضية فلسطين هذا الموقف الذى ينم عن وعى استراتيجى وتكتيكى بالغ الأثر والأهمية وهو موقف يجب أن تتأمله بقية الحركات الاسلامية لتأخذ منه الدرس والعبرة لا على مستوى النظرية فقط بل على مستوى الممارسة والتطبيق لأن المراوحة فى المستوى النظرى هى مراوغة تسمح لكل فكر فج ومائع بالبقاء فى موقعه يؤدى دوره بشكل غير صحى

لقد فهم الامام الخميني طبيعة ودور الاستعمار والتحدى الغربى الحديث للاسلام والغزو الفكرى الذى تلاه وادرك فى نفس الوقت ان اسرائيل هى التجسيد الواقعى لهذا التحدى بل هو حضور التحدى فى أشد صوره كما يقول المفكر الاسلامى **توفيق الطيب : « فنحن هنا لا نواجه ثقافة الغرب فى تيار بل نواجهها فى الانسان الغربى نفسه ـ نواجه الحضارة الغربية الحديثة فى فكرها واخلاقها وعلمها ونواجهها لا على صورة حوار سلمى بل على صورة صدام محتوم ... لاننا لا نواجهها كثقافة بل ككتلة بشرية .. كاحتلال وضعنا أمام احتمالين لا مفر منهما : الأرض أو الحرب .. والأرض تعنى هنا التاريخ والشعب »** ثم يستطرد المفكر الاسلامى توفيق الطيب قائلا : **« ان الاسلام كعقيدة والعرب كشعب يواجهان مصيرهما .. والمحك هو فلسطين » هذا عين ما فهمه الامام الخميني وعين ما فهمه الاستاذ ابو الأعلى المودودى فى**

باكستان عندما أعلن **أن قضية فلسطين يجب أن تكون محور الحركة الاسلامية .**

ومن هنا نشأت العلاقة بين الحركة الاسلامية فى ايران وفلسطين هذه العلاقة التى لا يمكن سبر كل اغوارها فى مثل هذا الكتاب ، وربما كان باستطاعتنا الاشارة لبعض جوانبها، فلقد اتهمت الحركة الاسلامية الشاه دوما بالعمالة لاسرائيل ومساندتها ، يقول الامام الخمينى فى كتابه « الحكومة الاسلامية » : **ان نظام الشاه .. يشترى طائرات الفانتوم ليتدرب عليها الاسرائيليون ، وبما أن اسرائيل فى حالة حرب مع المسلمين فكل من يساعدها ويساندها يكون هو بدوره فى حالة حرب مع المسلمين** » ص ١١٤ وفى حين كان يتم تدريب بعض كوادر الحركة الاسلامية فى معسكرات الثورة الفلسطينية ويقوم تعاون وتنسيق بين الطرفين كان الامام الخمينى يعلن عن مساعدته للكفاح المسلح ويفتى بوجوب العمل على ازالة الكيان الصهيونى ضمن فتواه التاريخية التى قال فيها :

« يجب على الدول الاسلامية وعلى عامة المسلمين ازالة عنصر الفساد ـ اسرائيل ـ والا يقصروا فى مساندة الثوار ويجوز لهم صرف الزكاة وسائر الصدقات فى هذا الأمر المصيرى » .. وعندما حاول الاستعمار والانعزاليون فى لبنان تصفية الثورة الفلسطينية أصدر نداءاً يكشف فيه أبعاد المؤامرة واكد ضرورة توفير الدعم للمقاومة وفى اثناء حرب رمضان ـ اكتوبر ٧٣ ـ أصدر بيانين حث فيهما

الشعوب والدول الاسلامية على مساندة الشعوب العربية فى مواجهة العدو الصهيونى المغتصب ودعا زعماء البلاد الاسلامية الى الحذر من جرثومة الفساد الصهيونية الموضوعة فى قلب البلدان الاسلامية والى قطع النفط عن الدول المؤيدة ازاء عدوان اسرائيل الوحشى على اخوته العرب والمسلمين للصهيونية كما حث الشعب الايرانى المسلم الا يقف محايداً ودعاهم لضرب المصالح الامريكية والاسرائيلية .

وفى رسالة وجهها لياسر عرفات ـ فى ١٦ ـ شوال الماضى يقول فيها : ((**اننا نختلف دائماً مع الشاه فى سياسته ومواقفه من القضية الفلسطينية كما نحارب اسرائيل وانصارها .. ونلتقى معكم فى ثورتكم ضدهم**)) .

ولقد اتهم الامام الخمينى اسرائيل بالاشتراك فى قمع الثورة الاسلامية فى ايران ففى بيان له ١٥ ـ شوال ١٣٩٨ ـ يقول فيه ((**ان الذين حصدوا برصاص الرشاشات ابناء الاسلام واتباع القرآن الكريم وكما هو معروف استنجدوا بالكوماندوز الاسرائيلى فى قتل الجماهير الشجاعة العزلاء**)) .

وبعد فهذه لمحة عن فكر الامام الخمينى والحركة الاسلامية فى ايران وسنتكلم فى فصل قادم عن التنظيم الاسلامى نفسه ، وان كنت اود ان اشير قبل ترك هذا الفصل ان الثورة الاسلامية فى ايران ثورة اسلامية بمعناها القرآنى الرحب .. انها ليست ثورة طائفة دون طائفة ، ان

القواسم المشتركة بين جناحى المسلمين السنة والشيعة لتكاد بل هى فعلا تتشكل جسد هــذه الثــورة بدءاً من منطلقاتها واهدافها ووسائلها وبواعثها .. ان الخلاف المطروح بين أهل السنة والشيعة حول امامة الأئمة الاثنى عشر وعصمة الأئمة لا يشكل ـــ لا سلباً ولا ايجاباً ـــ أى تأثير فى طبيعة الثــورة ومسـارها .

ولكن حتى تكتمل موضوعية البحث لا بد لنا من دراسة سريعة لاصول الفكر الشيعى .

الفصل الثالث

أصول الفكر الشيعى

الشيمة واحدة من أقدم الفرق الاسلامية واكبرها وقد تفرعت عن الشيعة فرق عديدة ربما تجاوزت المائة ولكن الفرقة التى تعبر تعبيرا رسميا ودقيقا عن الشيعه هى الامامية . وقد وقفت هذه الفرقة الأخيرة من غالبية الفرق الأخرى موقفا نقديا ورافضا ومكفرا فى أحيان كثيرة فالامام محمد الحسين آل كاشف الغطاء الامامى الاثنى عشرى يصف الخطابية فى كتابه « أصل الشيعة واصولها » بأنهم ملاحدة خارجون ص ١٢٩ وهؤلاء هم الذين اشتطوا وقالوا بالوهية جعفر الصادق **(تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا)** ويقول آل كاشف الغطاء عن فرقة أخرى كالسباية **((هذه كتب الشيعة باجمعها تعلن بلعنة (عبد الله بن سبأ مؤسس الفرقة) والبراءة منه)) ((وهو العن من أن يذكر))** وعبد الله بن سبأ كان قد زعم ان عليا كان نبيا ثم غلا فزعم انه كان الها .

والامامية هى الفرقة التى نقصدها عندما نتكلم عن الشيعة وهم الذين شايعوا الامام على رضى الله عنه على الخصوص وقالوا بامامته وخلافته نصا ووصاية (أى أن الله قد طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخلفه الامام

على وأن الرسول الكريم قد أوصى بذلك) وقالوا أن عليا وولده الأحد عشر أحق بالخلافة من كل أحد وأنهم أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اعتقدوا ان الامامة لا تخرج من أولاده وان خرجت فبظلم بكون من غيرة او بتقية من عنده ويقول مفكرو الشيعة ان اول من وضع بذرة التشيع من حول الاسلام هو نفس صاحب الشريعة الاسلامية كما يقول آل كاشف الغطاء . ويقول الاستاذ محمد باقر الصدر فى كتاب ـ التشيع والاسلام (دار الزهراء ص ٤٩) « أن الشيعة ولدوا منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة متمثلين الذين خضعوا عملياً لاطروحة زعامة الامام على رضى الله عنه وقيادته التى فرض النبى صلى الله عليه وسلم الابتداء بتنفيذها من حين وفاته مباشرة وقد تجسد الاتجاه الشيعى منذ اللحظة الأولى فى انكار ما اتجهت اليه السقيفة من تجميد لاطروحة زعامة الامام على رضى الله عنه واسناد السلطة اليه » .

هذا وقد اعتبر بعض الصحابة المخلصين فى حبهم للامام والذين رأوه أحق بالخلافة كبداية لظهور التشيع ومن هؤلاء سليمان الفارسى وأبو ذر الغفارى والمقداد بن الاسود وعمار ابن ياسر والحديث هذا عن الامامية ينطبق تماماً على فرقة الاثنى عشرية منهم حيث أن هناك فرق أخرى تنتمى الى الشيعة الامامية تختلف فى قليل او كثير :

١ ـ **الكيسانية :** نسبة الى كيسان مولى الامام على ويقال انهم زعموا أن محمد بن الحنفية هو الامام المهدى

وهو القائد المنتظر الذى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ، وقد انقرضت هذه الفرقة .

٢ ـ **الأفطحية** : وقالوا بامامة عبد الله بن جعفر الصادق وليس موسى الكاظم كما قالت الامامية الاثنى عشرية ولا اسماعيل كما قالت الاسماعيلية وهم اخوته وقيل انهم سموا كذلك نسبة الى رئيس لهم اسمه عبد الله بن فطيح وربما لأن عبد الله كان افطح الراس وقد مات عبد الله دون أن يخلف ولداً ذكراً . . وقد انقرضت هذه الفئة .

٣ ـ **الواقفة** : وهم الذين قالوا بامامة موسى الكاظم ولا امام بعده لأنه حيّ لا يموت قائم بملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً وقد انقرضت هذه الفئة أيضاً .

٤ ـ **الناوسية** : وقالوا بامامة جعفر الصادق وبانه حى لم يمت وقد انقرضت هذه الفئة أيضاً .

٥ ـ **الاسماعيلية** : وهم الذين قالوا بالامامة لاسماعيل ابن جعفر بدلا من أخيه موسى الكاظم ويقولون ان الأئمة بعد اسماعيل كانت أئمة مستورة لأن الامام يجوز له ان يتستر اذا لم تكن له شوكة وقوة يظهر بها على أعدائه وانما يظهر دعاته ، وظل هؤلاء الأئمة يتداولون الامامة واحد بعد الآخر فى ستر وخفاء حتى جاء عبد الله المهدى رأس الدولة الفاطمية فاظهر الدعوة لما أحس بالقوة ، ويسمون بالباطنية

لانهم يقولون بالامام الباطن المستور ولقولهم لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل وقد دان بعضهم بالحلول دون تصريح وانما قالوا بأن الامام خلق من نور الله أو نور الله حل به ولا يزال فى الهند الى الآن طائفة من الاسماعيلية .

٦ ــ **الزيدية** : ويتبعون زيد بن على بن الحسين بن على ويعتبرون أقرب الى أهل السنة من باقى الفرق فهم لا يقولون بالتقية كما أنهم يعترفون بخلافة ابى بكر وعمر وعثمان على أساس مصلحة المسلمين واشفاقاً من الفتنة ويعتبرون علياً أفضل الخلق بعد الرسول صلى الله عليه وسلم لقرابته وسابقته فى الاسلام ويجيزون تولية غيره اذا كان الذى يولونه مجرباً مجوزين امامة المفضول مع وجود الافضل وهم لا يقولون بعصمة الائمة كما لا يقولون باختفائهم وهم لم يجوزوا امامة غير أبناء فاطمة (كمحمد بن الحنفية).

ولا تزال هذه الفئة قائمة خاصة فى جبال اليمن .

٧ ــ **الامامية الاثنى عشرية** : وهم أكبر الطوائف الاسلامية بعد أهل السنة ويتركزون فى ايران والعراق وافغانستان والهند وباكستان وهم يقولون بامامة على وولده الاحد عشر (كما سبق) نصاً ووصية فى حين لا يرى أهل السنة أن الامام على قد ذكر نصاً يعتبر أن الرسول صلى الله عليه وسلم عينه للخلافة ، ولو كان لديه نص كما يقولون وذكره لما بقى الانصار والمهاجرون على رايهم ولبايعوه

وان كان بعض الشيعة يعتقد ان الصحابة (رضوان الله عليهم) قد سكتوا عن هذه القضية لأسباب سياسية مخالفين بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم الا ان آل كاشف الغطاء فى كتابه أصل الشيعة وأصولها ص ١١٣ يتبرأ من هذا القول قائلا ((. . **كلا معاذ الله ان يظن بهم (يقصد الصحابة الكرام) ذلك وهم خيرة من على وجه الأرض يومئذ ولكن لعل الكلمات لم يسمعها كلهم ومن سمع بعضها لم يلتفت الى المقصود منها وصحابة النبى الكرام اسمى من ان تحلق الى أوج مقامهم بغاث الأوهام**)) بل ويقول ص١١٧ **ان السلطة المدنية والدينية كانت مجتمعة فى الخلفاء الأولين ولم تنفصل عنها على حسد تعبيره الا يوم خلافة معاوية ويزيد !** وتعتبر الاثنى عشرية الامام على رضى الله عنه اول الاثنى عشر وأن محمد بن المهدى الذى اختفى نحو ٢٦٠ هـ هو آخرهم وسيعود هذا فى آخر الزمان ليملأ الأرض عدلا بعدما ملئت ظلماً وجوراً .

هذا وتقوم فلسفة الامامة عند الامامية الأثنى عشرية على مبادىء أربعة أساسية :

١ ـ **العصمة** : أى أن الأئمة (الاثنى عشر) معصومون من كل خطأ وزلل . ويقولون بهذا ويروى الامام الكلينى فى كتابه الكافى عن على رضى الله عنه قوله « لا تكفوا عن مقالة بحق ، أو مشورة بعدل ، فانى لست آمن أن أخطىء » وهناك أيضاً موقف الحسين الذى كره صلح أخيه الحسن مع معاوية قائلا لو جز أنفى لكان أحب الى مما فعله أخى ويقول الاستاذ احمد امين فى (كتابه ضحى الاسلام جزء ٣

ص ٢٢٢) « لو كان لعلى كل هذه العصمة والعلم ببواطن الأمور وخفاياها لتغير وجه التاريخ ولما قبل التحكيم ولدبر الحروب خيراً مما دبر فان قيل أنه علم وسكت وتصرف وفق القدر فهو خاضع للظروف خضوع الناس تتصرف فيه حوادث الزمان كما تتصرف في الناس ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء » .

٢ ــ **المهــدى** : وتعنى لغة ودينا الرجل الذى هداه الله فاهتدى واتخذت عند الامامية معنى « الامام المنتظر » وهو لا يزال غائبا بين الناس وسيظهر فيملأ الأرض عدلا كما ملئت ظلماً وجوراً وهو محمد المهدى الذى اختفى نحو ٢٦٠ هـ . وكان الكثير من الشيعة يرى انه لا تقوم دولة الاسلام مرة اخرى الا بظهور المهدى ولكنا رأينا فى الفصل السابق موقف الامام آية الله الخمينى الذى رأى فى هذا الانتظار دون التحرك لاقامة حكومة اسلامية اسوأ من نسخ الاسلام ، هذا وتنكر الفرقة الزيدية قضية المهدى بالطريقة المطروحة عند الامامية الاثنى عشرية .

٣ ــ **الرجعة** : وتعنى أن الله يرجع قسماً من الأموات الى الحياة الدنيا ويعتقدون ان النبى صلى الله عليه وسلم وعليا والحسن والحسين وباقى الأئمة وكذلك بعض خصومهم من الصــحابة كأبى بكر وعثمان وعمر ومعاوية !! يرجعون الى الدنيا بعد ظهور المهدى ويعذب من اعتدى على الأئمــة

وغصبهم حقوقهم او قتلهم ولكن الامام آل كاشف الغطاء يقول فى كتابه أصل الشيعة وأصولها ، « **وليس التدين بالرجعة فى مذهب التشيع بلازم ولا انكارها بضار وان كانت ضرورية عندهم ولكن لا يناط التشيع بها وجوداً أو عدماً** » ص ٩٩ .

٤ ــ **التقية** : وهى عندهم كتمان الحق وسر الاعتقاد فيه مكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً فى الدين والدنيا ويروى عن الامام جعفر الصادق قوله (**من لا تقية له لا دين له**) واجازوا التقية فى الدين عند الخوف على النفس وقد تجوز فى حالة الخوف على المال وفى حالة الإستصلاح .

ويقول الامام آية الخمينى فى كتابه الحكومة الاسلامية ص ١٤٢ « **فلا ينبغى التمسك بالتقية فى كل صغيرة وكبيرة وقد شرعت للحفاظ على النفس أو الغير من الضرر فى مجال الأحكام .. أما اذا كان الاسلام كله فى خطر فليس فى ذلك متسع للتقية والسكوت** » وتعتبر الشيعة موقف سكوت على عن ابى بكر وعمر (رضى الله عنهم أجمعين) كان تقية وكذلك موقف الحسن من معاوية .

هذه بايجاز المبادىء الاربعة التى تقوم عليها الامامية الاثنى عشرية .

والسؤال الذى يواجهنا الآن ما موقف الشيعة من أهل السنة .. اى من المسلم الذى لا يأخذ بالامامة وينكر العصمة ؟

ورغم أن الامام الكلينى يقول فى كتابه الكافى : « لا يكون العبد مؤمناً حتى يعرف الله ورسوله والأئمة كلهم وامام زمانه ويرد اليه ويسلم له » الا أن بعضهم يفسر كلمة لا يكون مؤمناً أى لا يكون مسلما شيعياً ويجيب الامام محمد الحسين آل كاشف الغطاء على هذا السؤال بشكل حاسم فى كتابه « أصل الشيعة وأصولها » قائلا : **« والاسلام والايمان مترادفان ويطلقان على معنى أعم يعتمد على ثلاث أركان : التوحيد والنبوة والمعاد فلو انكر الرجل واحداً منها فليس بمسلم ولا مؤمن وركن رابع وهو العمل بالدعائم التى بنى عليها الاسلام وهى خمس (الصلاة والصوم ـ والزكاة والحج والجهاد) (الشهادة مرت فى التوحيد) .. فهذه الأركان الأربعة هى اصول الاسلام والايمان بالمعنى الأخص عند جمهور المسلمين ولكن الشيعة الامامية زادوا ركناً خامساً وهو الاعتقاد بالامامة »** ص ١٢٧ ـ وقد اعتبر الامام آل كاشف الغطاء ان عدم الأخذ بالمبدأ الخامس مع الايمان والعمل بالأركان الأربعة لا يخرج المسلم عن دائرة الايمان والاسلام فيقول (نفس المصدر السابق) **« .. واذا اقتصر على تلك الأركان (الأربعة فقط) فهو مسلم مؤمن بالمعنى الأعم تترتب عليه جميع أحكام الاسلام من حرمة دمه وماله وعرضه ووجوب حفظه وحرمة غيبته وغير ذلك لا انه بعدم**

الاعتقاد بالامامية يخرج عن كونه مسلماً ـ معاذ الله ـ نعم يظهر اثر التدين بالامامة في منازل القرب والكرامة يوم القيامة اما في الدنيا فالمسلمون باجمعهم سواء وبعضهم لبعض اكفاء)) .

وبعد فمجمل القول بالنسبة للشيعة الأثنى عشرية الذين يشكلون سواد الشيعة اليوم انهم يشهدون أن لا اله الا الله وانه واحد احد ليس كمثله شيء وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من عنده وصدق المرسلين ويؤمنون بجميع انبياء الله ورسله وبجميع ما جاء به من عند ربه ويقولون بامامة على وولده الأحد عشر وانهم احق بالامامة من كل احد وانهم افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولهم بالامامة هذا لا يوجب كفراً ولا فسقاً لأن امامة شخص بعينه ليست من اصول الاسلام كما يرى أهل السنة .

وهم وان كانوا أوجبوا امامة الأئمة الأثنى عشر لكن منكر هؤلاء الأئمة عندهم ليس بكافر ولا بخارج عن الاسلام وتجرى عليه جميع أحكامه . كما يقولون بعصمة الأئمة الاثنى عشر وبعودة المهدى الموجود حياً بين الناس وان اخطأوا في ذلك او اصابوا فهذا لا يوجب كفراً ولا خروجاً عن الاسلام ومن أهم ما يؤخذ عليهم دعوى القدح في الصحابة الكرام ولكن بعضهم يبرأون من الغلاه ويقولون أن احترام أصحاب نبينا من احترام نبينا فنحن نحترمهم لاحترامه . في حين يقول بعضهم أن أبا بكر وعمر وعثمان (رضوان الله عليهم)

قد اغتصبوا السلطة من الامام على رضى الله عنه يقول آخرون منهم أن أبا بكر وعمر وعثمان اجتهدوا فاخطأوا ! !

هذا مذهب الشيعة الامامية الاثنى عشرية لا يفوتنا أن نشير فى نهاية عرض أصوله الى الفتوى التى أصدرها الامام الأكبر الشيخ محمود شلتوت عندما كان رئيساً للأزهر ونشرت عام ١٩٥٩ بمجلة (رسالة الاسلام) العدد الثالث من السنة الحادية عشر ص ٢٢٧ .

« .. ان مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الامامية الأثنى عشرية هو مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب اهل السنة فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك ويتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة » .

الفصل الرابع

ايران من ثورة ١٩٠٦ الى ثورة ١٩٧٨

يبدو لكثير من المراقبين ان ما يحدث فى ايران الآن ما هو شريط معاد لما حدث فى أوائل هذا القرن حيث واجهت الأسرة القاجارية الحاكمة فى ذلك الوقت موقفاً حرجاً فى مواجهة مطالب المسلمين الذين وقفوا فى وجه استبداد الشاه القاجارى مظفر الدين بن ناصر الدين شاه وطيشة وخضوعه للمستعمر الغاصب حيث كانت روسيا وبريطانيا تمارسان نفوذاً وسيطرة فعلية على ايران .

وتاريخ الأسرة القاجارية فى الحكم يعود الى مؤسسها اغا محمد شاه قاجار الذى تسلم الحكم عام ١٧٩٦ وينتهى تاريخ هذه الاسرة عام ١٩٢٥ حيث عزل آخر ملوكها احمد شاه على يد رضا شاه مؤسس الأسرة البهلوية .

وفى أثناء حكم الاسرة القاجارية هذه حدثت تغييرات كان لها أثر بعيد فى تاريخ ايران فلقد خسرت فى حربين مع روسيا القيصرية بعض ممتلكاتها حول بحر قزوين وكان الحكم دكتاتورياً ظالماً ، يدخل السجين الى السجن فترة

تطول أو تقصر ويخرج وهو لا يدرى لماذا سجن ولماذا اطلق سراحه !

وكان الفساد والرشوة يملآن كل دوائر الدولة وكان جباة الضرائب يجدون لذة فى معاقبة الممتنعين وجلدهم وهم مربوطين حول الشجر هذا بالاضافة للاوضاع الاقتصادية المتدهورة حيث كانت البلاد تستورد أضعاف ما تصدره وكان أصحاب الأفران يخلطون الخبز بالنشاره وقشر الأرز لدرجة أن مئات من المواطنين كانوا يموتون من جراء ذلك وكانت غالبية الشعب من الأميين ولم تسع الحكومة لتحسين الوضع بل أن ناصر الدين شاه (١٨٤٨ — ١٨٩٦) كان يقيد السفر الى أوروبا للتعليم وله كلمة مشهورة فى ذلك يقول فيها « أرغب ان يكون أبناء شعبى أغساء بلا ثقافة الى القدر الذى لا يعرفون معه ان بروكسل هى اسم لمدينة أم لنوع من الخضار ! »

وناصر الدين هذا هو الذى كانت له مع الزعيم الثائر جمال الدين الأفغانى صولات وجولات ولقد قتل على يد أحد مريدى جمال الدين الذى قال له عند ما طعنه : **« خذها من يد جمال الدين »** .

ولقد بدأت مظاهر الاستياء من الحكم تطفوا شيئاً فشيئاً حتى تحولت عام ١٩٠٦ فى عهد مظفر الدين شاه الى ثورة شعبية عامة قادها علماء المسلمين فى ايران . . حيث اعلنوا الاعتصام

فى المساجد وطالبوا بطرد حاكم طهران ورئيس الوزراء وبعض المسـئولين فى الدولة وكذلك الميونوز البلجيكى « الذى كان مديراً لجمارك ايران » وذلك لأنه ارتدى ملابس رجل دين فى حفلة تنكرية .. ورغم أن الشاه مظفر الدين ارسل اليهم الفرقة الروسية القوقازية التى اشاعت الرعب والهلع الا أن الثورة الاسلامية استمرت فى تصاعدها حتى ارغمت الشاه على توقيع قانون الدستور ، نصت المادة الأولى فيه على أن دين الدولة الرسمى هو الاسلام حسب المذهب الجعفرى وأن رئيس الدولة من هذا المذهب والمادة الثانية نصت على منح العلماء حق مناقشة اى قانون ورده اذا لم يتفق مع الشريعة الاسلامية ومنحت المادة الثامنة الايرانيين المساواة التامة أمام القانون وآمنت المادة التاسعة المواطنين على ارواحهم وأملاكهم .. كما منعت المادة العاشرة اعتقال اى شخص دون أمر خطى .. ورفعت المادة ٢٢ ، ٢٣ الرقابة على الاتصال البريدى والبرقى وقد بلغت مواد الدستور مع ملحقه ١٥٦ مادة .

وتم تشكيل حكومة دستورية ديمقراطية بدلا من الحكومة المستبدة وانتخب مجلساً آخر للشيوخ يضم ٦٠ عضواً .. نصفه يتم بالتعيين ونصفه الآخر بالانتخاب .

وفى اثناء اشتعال الثورة الاسلامية فى ايران وجه الزعيم الثائر جمال الدين الأفغانى رسالة الى قادة الثورة نود أن

نثبت اغلب نصوصها منقولة عن مجلة « المنـار » التى كان يصدرها محمد رشيد رضا .. وذلك للأهمية التى تحويها هذه الرسالة :

بســم الله الرحمن الرحيم

حملة القرآن وحفظة الايمان ، ظهراء الدين المتين ونصراء الشرع المبين ، جنود الله الغالية فى العالم وحججه الدامغة لضلال الأمم ، جناب الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازى ، .. وسائر هذه الأمة ونواب الأئمة من الأحبار العظام والعلماء الكرام ، أعز الله بهم الاسلام والمسلمين وارغم انوف الزنادقة المتجبرين .. آمين .

طالما تاقت الأمم الافرنجية الى الاستيلاء على البلاد الايرانية حرصاً منها وشرهاً ، ولكم سولت لها امانيها خدعاً تمكنها من الولوج فى ارجائها وتمهد فيها سلطانها على غرة من أهلها تحاشياً من المقارعة التى تورث الضغائن . فتبعث النفوس على الثورة كلما سنحت الفرص وقضت بها الفترات ولكنها علمت ان بلوغ الأرب والعلماء فى عز سلطانهم ضرب من المحال ، لأن القلوب تهوى اليهم طراً ، والناس جميعاً طوع يدهم يأتمرون كيفما امروا ويقومون حيثما قاموا لا مرد لقضائهم ولا مرد لحكمهم وأنهم لا يزالون يدابون فى حفظ حوزة الاسلام لا تأخذهم فيه غفلة ولا تعروهم غرة ، ولا تميد

بهم شهوة فخنست وهي تتربص بهم الدوائر وتتقرب الحوادث » .

« ولما تولى هذا الشاه الحارية (الطاغية) الملك طفق يستلب حقوق العلماء تدريجيا ويخفض شأنهم ويقلل نفوذ كلمتهم حبا بالاستبداد بباطل أوامره ونواهيه وحرصاً على توسيع دائرة ظلمه وجوره فطرد جمعاً من البلاد بهوان .. فخلا له الجو فقهر العباد وأباد البلاد وتقلب في أطوار الفظائع وتجاهر بأنواع الشنائع وصرف في أهوائه الدنيسة وملاذه البهيمية ما مصه من دماء الفقراء والمساكين عصراً ونزح من دموع الأرامل والأيتام قهراً (يا للاسلام) .

فاذا اشتد جنونه بجميع فنونه فاستوزر وغدا خسيسا ليس له دين يردعه ولا عقل يزجره ولا شرف نفس يمنعه »

« فحسب الافرنج ان الوقت قد حان لاستملاك الأقطار الايرانية بلا كفاح ولا قتال وزعمت أن العلماء الذين كانوا يذبون عن حوذة الاسلام وقد زالت شوكتهم ونفد نفوذهم فهرع كل فاغر فاه يبغى أن يسرط قطعة من تلك المملكة ، فثار الحق وغضب الباطل فدمغه فخاب مسماه وذل كل جبار عنيد ، أقول الحق انكم أيها القادة قد عظمتم الاسلام بعزيمتكم وأعليتم كلمته وملئتم القلوب من الرهبة والهيبة ، وعلمت الاجانب ان لكم سلطانا لا يقاوم وقوة لا تدفع وكلمة لا ترد وأنكم سياج البلاد وبيدكم أزمة العباد ولكن قد عظم

الخطب الآن وجلت الرزية لأن الشـياطين قد تألبت جبرا للكسر وحرصاً على الوصول الى الغاية وازمعت على اغـراء ذاك المارق الاثيم على طرد العلماء كافة من البلاد وابانت له ان انفاذ الأوامر انما هو بانقيـاد قواد الجيش وان القـواد لا يعصون للعلماء امراً ولا يرضون بهم شراً فيجب لاستتباب الحكومة استبدالهم بقواد الأفرنج .. والشاه بجنونه المطبق قد استحسن هذا واهتز به طرباً .

لعمر الله لقد تحالف الجنون والزندقة وتعاهد العتـة والشره على محق الدين واضمحلال الشريعة وتسليم دار الاسلام الى الأجانب بلا مقارعة ولا مغامرة .

يا هداة الأمة انكم لو أهملتم هذا الفرعون الذليل ونفسه وامهلتموه على سرير جنونه وما أسرعتم بخلعه عن كرسى غيه لقضى الأمر فعسر العلاج وتعذر التدارك .

أنتم نصراء الله فى الأرض ولقد تمحصت بالشرعية الالهية نفوسكم عن أهواء دنيه تبعث على الشقاق وتدعو الى النفاق ويئس الشيطان بصدفات الحق عن تفريق كلمتكم فانتـم جميعاً يد واحدة يذود بها الله عن صياصى دينه الحصينة ويذب بقوتها القاهرة جنود الشرك واعوان الزندقة .. وان الناس كافة (الا من قضى الله عليه بالخيبة والخسران) طوع أمركم فلو اعلنتم خلع هـذه الحارية (الطاغيـة) لاطاعكم الامير والحقير وأذعن لحكمكم الغنى والفقير خصـوصاً وان

الصدور قد حرجت وأن القلوب قد تفطرت من هذه السلطنة القاسية الحممي التي ما سدت ثغورا ولا جندت جنودا ولا عمرت بلاداً ولا نشرت علما ولا أعزت الاسلام ولا أراحت يوما ما في قلوب الأنام بل دمرت وافوت وأقصرت وأذلت .. »

« واذا وقع الخلع فلا ريب أن الذى يخلف هذا الطاغيه لا يمكنه الحيدان عن أوامركم الالهية ولا يسعه الا الخضوع بعنبتكم عتبة الشريعة المحمدية .. كيف لا وهو يرى عيانا ما لكم من القوة الربانية التى تقلبون بها الطغاة عن كرسى عيها . وان العامة متى سعدت بالعدل تحت سلطان الشرع ازدادت بكم ولعا وحامت حولكم هياماً وصارت جميعا جندا لله وضرباً لأوليائه العلماء ولقد وهم من ظن أن خلع هذا الحارية الا بهجمات العساكر وطلقات المدافع والقنابل ، ليس الأمر كذلك لأن عقيدة ايمانيه قد رسخت في العقول وتمكنت من النفوس وهى أن الراد على العلماء راد على الله فاذا أعلنتم (يا حملة القرآن) حكم الله في هذا الغاصب الجائر وأتيتم أمره تعالى حرمة اطاعته لانفض الناس من حوله فوقع الخلع بلا جدال وقتال » .

« قد آن الأوان لاحياء مراسم الدين واعزاز المسلمين فاخلعوا هذا الطاغية قبل أن يفتك بكم ويهتك أعراضكم ويقلم سياج دينكم ، ليس عليكم الا أن تعلنوا على رؤوس الاشهاد حرمة اطاعته فاذا يرى نفسه ذليلا فريداً يفر منه

بطانيه ، وينفر منه حاشيته وينبذه العساكر ويرجمه الأصاغر .

انكم يا أيها العلماء والذين قاموا معكم بتأييد الدين بعد اليوم فى خطر عظيم قد كسرتم قرن فرعون بعصا الحق وجدعتم انف الحارية بسيف الشرع فهو يتربص فرصاً تساعده على الانتقام شفاءاً لغيظه ومرضاة لطبيعته التى فطرت على الحقد واللجاج فلا تمهلوه أياماً ولا تمكنوه أن يقبض زماماً اعلنوا خلعه قبل اندمال جرحه .

وحاشاكم أيها الراسخون فى العلم أن ترتابوا فى خلع رجل سلطانه غصب وأفعاله فسق وأوامره فجور وأنه بعد أن مص دماء المسلمين ونهش عظام المساكين وترك الناس عراة حفاة لا يملكون شيئاً حكم عليه جنونه أن يملك الأجانب بلاداً كانت للاسلام عزة وللدين المتين حرزاً وساقته سورة السفه الى اعلاء كلمة الكفر والاستظلال بلواء الشرك » .

هذا نص الوثيقة التاريخية التى وجهها جمال الدين الى علماء المسلمين والتى ستزداد أهميتها وضوحاً عندما نعرف انه بعد أن توفى الشاه مظفر الدين الذى بقى رمزاً دستورياً على غير ما اراد جمال الدين وجاء الشاه محمد على الى السلطة ولم يكد الايرانيين يتنسمون هواء الحرية الدستورية حتى بدأ الشاه الجديد ينسج خيوط المؤامرة التى تعيد البلاد الى الحكم الاستبدادى السابق ففى ٢٣ يونيو حزيران ــ ١٩٠٨ ــ حاصرت الفرقة الروسية القوقازية بقيادة الكولونيل الروسى

« لياخوف » المجلس النيابى وضربته بالمدفعية فدمرته وقتل بعض النواب وهرب الآخرون بينما دافع عنه الحراس المسلمون بشجاعة نادرة .. وهكذا أوقف الشاه الدستور وعطل المجلس النيابى وأقام حكومة عسكرية فى طهران فرضت منع التجول فيها .

وهذا الدرس الذى نبه اليه جمال الدين فى وثيقة الخطيرة هو ما وعته الحركة الاسلامية فى ايران تحت قيادة آية الله الخمينى فقد أعلنت الثورة الاسلامية عام ١٩٧٨ .

الجيش الايرانى غير مذنب .. السافاك غير مذنبة .. الحزب (راستاخيز) غير مذنب .. المذنب الوحيد هو القصر الذى يحرك الجميع ومن هنا الاصرار على شعار « مرك برشاه أى الموت للشاه » .

ولكن علماء المسلمين بعد استبداد محمد على شاه بالسلطة لم يقبلوا الهزيمة فنشبت الثورة فى انحاء ايران ورغم مساندة الروس للشاه ووساطة الانجليز ورغم عمليات الابادة والقمع ضد الجماهير المسلمة الا أن الثوار تقدموا من الشمال والجنوب وحاصروا العاصمة فاستسلمت قوات الحكومة فى ١٦ يوليو (تموز) ١٩٠٩ وهرب الشاه الى المفوضية الروسية وأعلن الثوار خلع الشاه وتعيين ابنه الشاه أحمد ميرزا ملكاً وأعادوا الدستور مرة أخرى وعندما قامت الثورة الشيوعية فى روسيا وانشغل الاتحاد السوفيتى

بمشاكله الداخلية انتهزت بريطانيا الفرصة لتحكم نفوذها على كل ايران ، وهنا شعر السوفيت بخطر هذا الوجود البريطاني فحاولوا خلق زعامات جديدة تؤيدهم داخل ايران واستطاعوا بواسطة أحد المعارضين للحكومة ويدعى ميرزا كوجك خان » من تشكيل حكومة اشتراكية انفصالية في بعض المقاطعات الايرانيه ، حرضت بريطانيا الحكومة المركزيه في طهران بشده ضد هذه الحكومة الانفصالية فارسلت الحكومة حملة قوية بقيادة الكولونيل « رضا خان » والد الشاه والذى استطاع أن يحقق نصرا سريعا وحاسما على الانفصاليين وانسحبت بعد ذلك القوات الروسية المؤيدة للانفصاليين وعقدت المعاهدة السوفينية الايرانية في فبراير ١٩٢١ والسارية المفعول حتى الآن والتى يحق فيها للسوفيت ارسال قواتهم لايران في حالة تعرض الأخيرة لاعتداء مسلح من جانب أى قوة اجنبية على أن تنسحب هذه القوات بعد زوال الخطر .

والكولونيل رضا مؤسس الاسرة الملكية البهلوية كان قد التحق بالجيش الايرانى كجندى واستطاع ان يحصل على ترقيات سريعة مبهرة وفى الثانية والعشرين من عمره التحق بالفرقة القوقازية التى يقودها الضباط الروس حيث اكتسب خبرة ودراية كبيرة ساعدته بعد ذلك في تحقيق نصره السريع والحاسم ضد الانفصاليين هذا النصر الذى منحه شعبيه شديدة جعلته بعد ذلك يتولى رئاسة الوزراء في ظل سلطة أحمد شاه القاجارى آخر ملوك هذه الاسرة القاجارية وقد

اخذ رضا خان يدعم مركزه من وراء العرش وبتأييد من الجيش الايرانى والشرطه حتى استطاع ان يتخلص من النساه الضعيف ويعلن نفسه بموافقة المجلس النيابى ملكاً جديداً لايران وفى ٢٥ ابريل ــ ١٩٢٦ ، احتفل بتنصيبه فى احتفال كبير كعادة ملوك ايران فى العصور السابقة وفور تسلمه السلطة اهتم رضا خان كثيراً باقامة جيش قوى مزود باحدث الأسلحة التى استوردها من فرنسا وزاد من ميزانية الجيش الى خمسة أضعاف ورفع عدده من ٤٠ الف الى ١١٢ ألف كما اجتذب الضباط الى البلاط ووفر لهم معاشات مغرية وباعهم قطع أرض تملكها الدولة بأسعار اسمية ووضعهم فى مراكز عليا .

ولقد كان هناك اعجاباً متبادلا بين رضا خان ومصطفى كمال اتاتورك ظهر فى الاستقبال الحافل الذى اعده الأخير لرضا خان عند زيارته لتركيا فى يونيو حزيران ١٩٣٤ كما ظهر هذا الاعجاب منذ البداية عندما طرح رضا خان الفارسية مقابل الاسلامية محاولا التعالى على المسلمين باسم دولة فارسية حديثة وحاول أن يحد من الدور الذى يلعبه الدين فى حياة الشعب الايرانى المسلم فاقام التشريع على أسس مدنية مستمداً قوانينه من القانون الفرنسى بدلا من الشريعة الاسلامية واستصدر قانوناً يمكن بمقتضاه تأميم الأراضى ومشروعات الرى المملوكة لمؤسسات دينية وحد من المدارس الدينية وبدأ المندوبون الحكوميون يراقبون هذه المدارس لضبط عملية الفصل بين التدريس الدينى والخدمة

العسكرية وعينت الحكومة اجهزة خاصة لادارة الجوامع والأماكن الدينية وتنظيم انتقال الذاهبين الى الحج فى مكة كما تولى الشاه حصر انفاق الاوقاف الدينية وقرر تشكل صرفها وفى عهده صار جندى من الدرك يصعد السطح وينفخ ببوقه عند وقت الصلاه بدل الآذان وبات يقف شرطيان على باب كل مسجد تحت زعم احلال النظام ومنع زحام الناس لدى الخروج ويروى أحد رجال الدين الايرانيين فى مذكراته أن « خدام الحضرة الشريفة الرضوية كلهم أو جلهم يلبسون العمائم قبل تملك البهلوى فلما تملك الزمهم بلبس القبعة البهلوية واللباس الافرنجي الا قليلا منهم .. »

كل هذا بالاضافة للحملة التى شنها تحت اسم تحرير المرأة فابتدا عام ١٩٣٠ بنزع الحجاب والغائه وتحريم ارتدائه مبتدءاً باسرته وفى عام ١٩٣٥ حظر الشاه بقرار منه على الفتيات والمعلمات وضع الحجاب على وجوههن ودخول مدارسهن به ومنع أياً من ضباط الجيش من الظهور فى الأماكن العامة أو الشوارع برفقة امرأة محجبة مهما كانت صلتها وقرابتها به .

وبقى الشاه يسوس ايران هكذا حتى قامت الحرب العالمية الثانية ووقف بجانب المانيا رافضاً طلب الانجليز والروس بطرد الالمان من بلاده مما حذا بالقوات البريطانية والسوفيتية دخول طهران فى ١٧ – سبتمبر – ١٩٤١ – واجبر الشاه بعدها على التنازل عن العرش لابنه محمد رضا

بهلوى وخرج من ايران حتى استقر به المقام فى « جوهانسبرج » حتى توفى هناك فى ٢٥ يونيو ــ ١٩٤٤ ومن هناك حملت رفاته للدفن فى مقابر الرفاعى بالقاهرة (وكان قبل ذلك قد زوج ابنه محمد رضا من الأميرة فوزية شقيقة الملك فاروق) .

وهكذا تسلم محمد رضا الحكم فى ١٦ سبتمبر ــ ١٩٤١ وهو فى سن الحادية والعشرين وكان قد تلقى تعليمه الابتدائى فى المدرسة الحربية فى طهران والثانوى فى مدرسة « شاللى » فى سويسرا ثم التحق بكلية الضباط بطهران وفى مايو ١٩٣٨ حصل على رتبة ملازم مدفعيــة والتحق بالجيش الايرانى مفتشاً بالجيش .

وقد عاشت ايران منذ تولى الشاه الى تولى مصدق فترة من عدم الاستقرار والفوضى تحت ظل فساد سياسى كان يعم البلاد .. وفى هذه الفترة خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية ظهرت الولايات المتحدة كقوة كبرى تسير فى فلكهــا مجموعة من الدول وقد وجدت أمريكا فى ايران ميداناً هاماً للتنافس السياسى لوفرة بترولها وقربها من الكتلة الشرقيــة ولدورها المرتقب والمأمول فى زعامة العالم الاسلامى ولامكانية خلق قوة حربية تكون سنداً للعالم الغربى فى المنطقة وهــذا ما سنتكلم عنه بتفصيل أكثر عند دراســة موقف أمريــكا من الأزمة .

وبعد دخول امريكا بقليل برزت مشكلة تأميم البترول الذي كان خاضعاً للاحتكارات الانجليزية وقد رأى الدكتور مصدق رئيس الكتلة الوطنيـة ورئيس لجنـة البترول في المجلس النيابي أن خير عمل تقوم به الدولة هو تأميم البترول ووقف رئيس الوزراء آنذاك (على رزم آراه) في وجه مصدق الذي كان يدعمه الزعيم الشيعي آية الله الكاشاني وقد قامت الجماهير باضطرابات ومظاهرات دامية ضد رئيس الوزراء وفي ٧ مارس (آذار) ١٩٥١ استطاع شاب مسـلم يدعى خليل طهمسبي ينتمي الى منظمة « فدائيان اسـلام » التي كان يتزعمها (نواب صفوى) . استطاع هـذا الشـاب أن يردي (على رزم آراه) قتيلا في ساحة « مسجد شاه » في طهران ويومها أصدر نواب صفوى بياناً اعلن فيه ان البطل الذي قتل (رزم اراه) الخائن قد ادى واجبه .

وقد أيد الزعيم الاسلامي آية الله الكاشاني هذا العمـل كما سبق الاشارة الى ذلك في الفصل الثاني .

واستمرت الأزمة حتى جاء الدكتور مصدق الى رئاسة الوزراء في ٢٦ ابريل ١٩٥٠ ودخلت ايران مرحـلة جـديدة من تاريخها في مواجهة صريحة مع الاستعمار الانجليزي وبعد اربعة أيام فقط من تشكيل الوزارة أعلن الدكتور مصـدق تأميم بترول ايران ثم قام بطرد الانجليز وحاول السـيطرة على الجيش فطرد ١٣٠ ضابطاً كبيراً وشكل لجاناً للتحقيق في اختلاسات الكبار وجعل سلطة الشاه اسمية فقط ممـا

اضطر الشاه بعد ذلك الى الهرب خارج البلاد فى ١٦ ــ ٨ ــ ١٩٥٣ ولكن ليعود بعد ستة أيام ــ عندما دبرت المخابرات الامريكية انقلاباً عسكرياً ضد مصدق بقيادة الجنرال فضل الله زاهدى الذى عين بعد ذلك رئيساً للوزراء ليقود نظاماً دمويا رهيباً لتدعيم حكم الشاه .

وقبض على مصدق وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات وبعد ذلك القى القبض على الفدائى المسلم (خليل طهمسبى) والزعيم الايرانى (نواب صفوى) واعدما .

وقبل الانتقال لدراسة طبيعة نظام الشاه الجديد نود ان نشير الى انه برغم الحريات الديمقراطية التى حصل عليها الشعب اثناء فترة الحكومة الوطنية الا ان الحركة الوطنية لم تطرح المشكلة بشكل جذرى فلم تأخذ الحركة الاسلامية مكانتها المأمولة فى عملية التغيير بصفتها الحركة الوحيدة المعبرة عن اصالة الجماهير المسلمة وقواعدها الشعبية فقد بقيت الحركة الوطنية خالية من أى مضمون اسلامى ثورى وانما مجرد طموحات برجوازية لم تدرس المشكلة بعمق مما جعل الانتهازيين ومحترفى السياسة يلتفون حول مصدق ورغم ان مصدق كان قد عين نفسه وزيراً للحربية الا انه لم يستطيع ان يتغلغل داخل الجيش الذى بقيت تناط به المهمات التاريخية وهى ارجاع الشاه الى الحكم كما أوصل والده من قبله عام ١٩٢٥ .

الفصل الخامس

نظام الشاه (دراسة وتحليل)

عندما عاد الشاه محمد رضا بهلوى الى السلطة مرة اخرى بعد انقلاب الجنرال فضل الله زاهدى الذى دبرته المخابرات الامريكية حاول بكل قواه السيطرة على الموقف فكانت السنوات من (١٩٥٣ — ١٩٦٠) هى سنوات تثبيت النظام وقمع الحركة الوطنية والاسلامية واعتمد الشاه فى سياسته الجديدة على عنصرين هامين الجيش والسافاك :

١ — **الجيش** : تنتمى الاسرة الملكية البهلوية الى عائلة محاربة فجد والد الشاه الأخير اى جد رضا خان كان ضابطاً فى الجيش الايرانى الذى حاصر مدينة (هرات) فى عهد الشاه (فتح على شاه) ثانى ملك قاجارى وقد قتل فى هذه المعركة .

وكان جده عباس على باوند بهلوى بدرجة نقيب واخ لجده يدعى نصر الله خان بدرجة مقدم ، اما والده رضا خان فقد التحق بالجيش وهو فى الثالثة عشر من عمره كجندى ترقى بعد فترة قصيرة الى رقيب .. واستمر حتى اصبح كولونيلا وعن طريق الجيش اصبح رضا خان أول

ملك ينتمي للاسرة البهلوية وعندما وصل السلطة ادرك رضا خان كرجل عسكري اهمية الجيش فتفرغ لتنظيمه وتعزيز قوته بنفسه فضاعف من عدده وروده باحدث الأسلحة التي استوردها من باريس كما قرب الضباط الى البلاط واغدق عليهم الأموال وعندما وصل الشاه محمد رضا الى السلطة عن طريق الجيش ادرك المهمات التاريخية التي يمكن ان تناط بالجيش الذي اوصل والده للسلطة عام ١٩٢٥ ونفذ مشاربه ومخططاته تحت حمايته وهاهو الجيش عام ١٩٥٣ يترجم بشكل واقعي وعلى يد زاهدي هذه المهمات ولهذا انتهج الشاه نفس خط والده في تدعيم الجيش كاهم الأسس التي يقوم عليها النظام فضاعف عدد القوات مرة اخرى فأصبح يتراوح بين ٣٠٠ الف الى ٥٠٠ الف جندي (عامل واحتياطي) واستقدم له اكثر من ١٥ الف خبير امريكي وعدداً اخر من الخبراء الاسرائيليين وكان من المنتظر أن يصل عدد الخبراء الأمريكيين عام ١٩٨٠ الى ٥٠ الف خبير وكانت معظم المساعدات الامريكية اثر سقوط مصدق والتي بلغت بين (١٩٥٤ — ١٩٦٠) حوالي ٩٥٠ مليون دولار من نصيب الجيش .

وانشأ الشاه قاعدة في بندر عباس ب ٢٠٠ مليون دولار وأخرى في شاه بيهار ب ٦٠٠ مليون دولار وحصل على تسهيلات بحرية في جزر المحيط الهندي وتدخل الى جانب السلطان قابوس ضد ثوار ظفار وكان من أحد اهداف هذا التدخل تدريب الجيش الايراني على القتال ، هذا وتحتل

ايران حتى (١٩٧٨) المرتبة الرابعة بين دول العالم من حيث ارقام الانفاق العسكرى بعد الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وفرنسا وقبل بريطانيا ، وقد قفزت قيمة الانفاق العسكرى بشكل صاروخى فمن ١٤٤ مليون دولار عام ١٩٦٥ الى ٥٠٠ مليون دولار عام ١٩٦٨ الى (٢٠٠٠ مليون دولار) عام ١٩٧٣ الى ١٠ مليار دولار عام ١٩٧٦ ، كما نشر أن قيمة الانفاق العسكرى فى ميزانية ٧٨ / ٧٩ اضعاف هذا الرقم .

ولا تشمل هذه الارقام الانفاق على السافاك .

وينتظم الجيش الايرانى الذى يتراوح بين ٣٠٠ الف الى ٥٠٠ الف كما ذكرنا فى ٣ فرق مدرعة و ٤ فرق مشاه (و ٤ فرق مستقلة ٢ مشاه ، وواحدة محمولة جوا وواحده تسمى قوات خاصة ويملك هذا الجيش ٤ آلاف دبابة ، حوالى ١٥٠٠ قطعة مدفعية و ٦٥٠ مدفع مضاد للطائرات كما تملك البحرية الايرانية (٢٥ الف جندى) ثلاث مدمرات حاملة للصواريخ واربع فى فرقاطات وتسعة وعشرون قطعة بحرية اخرى وتتضمن طلبات الأسلحة البحرية التى تعاقدت عليها ايران الشاه اربع مدمرات ضخمة ، ١٤ سفينة حربية بالاضافة الى طائرات حربية بعيدة المدى وعدداً من الغواصات (من المانيا الغربية خاصة) .. أما سلاح الجو (١٠٠ الف جندى فيملك ١٧٧ طائرة فانتوم بالاضافة الى ١٢٥ قاذفة (F.5) و ١٥ طائرة (F.14)

توماكتس التى توصف بانها احسن المقاتلات واكثرها تكلفه كما يضم سلاح الجو ايضاً ٧٢ طائرة نقل ضخمة و ٧١ طائرة خفيفة و ١٥١ هيلوكبتر وهناك بالاضافة الى ذلك قيادة الجو التابعة للجيش وهى غير السلاح الجوى وتملك ٦١ طائرة و ٢٤٧ هيلوكبتر وهى متعاقدة على طلب ٣٢٩ هيلوكبتر أخرى .. وحتى تتضح الصورة الضخمة للتسليح الايرانى نقرأ تصريح للنائب الديمقراطى الأمريكى لسن ايسن — فبراير ١٩٧٧ « .. ان ٤٠ ٪ من جميع الذخائر التى اوصى عليها ٦٠ بلداً من الولايات المتحدة مخصص لايران وحدها .. ان ايران تصرف من الذخيرة بالنسبة لكل فرد عسكرى اكثر بكثير من الولايات المتحدة » .

ولكن لماذا كل هذا الاهتمام بالجيش .. أمن اجل احتلال الخليج .. ان هذا الهدف لا يحتاج الى كل هذا البناء . أم من أجل اقامة امبراطورية كسروية قوية فى المنطقة ؟ ... أم من أجل اقامة مؤسسه ضخمة بديلة عن أى طبقة أو فئة تسانده بحيث لا تستطيع أى طبقة أو فئة أن تعبر عن نفسها الا من خلال الشاه نفسه .. وهل يمكن أن يكون الجيش مقابلا لنقمة الجماهير التى انفصل عنها الشاه .

٢ — السافاك :

الأساس الثانى الذى يقوم عليه النظام هو « منظمة أمن الدولة » وقد اسسها الجنرال بختيار (غير رئيس الوزراء) تحت اشراف وكالة الاستخبارات الامريكية (C.I.A)

تم بمعونة « الموساد » أو الاستخبارات الاسرائيلية كما نشرت « الهيرالدتربيون ١٤ ــ ٧ ــ ١٩٧٨ » وقد منح وجود هذه المنظمة أهمية استثنائية لوزارة الداخلية ويبلغ عدد العاملين فيهــا ۱۰۰ الف ويقترب هــذا الرقم مــن نصف مليون فى تقديرات أخرى ..

وقد ارتفعت حصة السافاك فى موازنه ١٩٧٦ الى أكثر من مليار دولار وتسلل السافاك الى كل شيء وبشكل خراق فهو موجود فى الجيش والاحزاب وبين الطلبة ورجال الدين حتى أن الامام الخميني يقول عن الفقهــاء الذين يدعـون للسلطان ((.. **وقســم منهــم قد البســتهم دوائر الأمــن والاستخبارات العمائم ..**)) الحكومة الاسلامية ص ١٤٣

وتجبر السلطة الكثير من المصانع على تشغيل بعض عناصر السافاك لتسهيل مهمة التغلغل بين صفوف العمال كما تدير السافاك شبكة بوليسية يحسب لها حساب فى الخارج حيث يتواجد الطلبة الايرانيون وربما لهذا السبب كنا نرى الطلبة الايرانيين الذين يتظاهرون ضد الشاه فى الخارج وحتى فترة قريبة يلبسون الاقنعة ويخفون وجوههم .

ومن ثمار عمل هذه المنظمة آلاف المعتقلين فى السـجون الذين يصلون فى أقل التقديرات الى عشرة آلاف وفى بعضها الى ۳۰۰۰ الف معتقل وأيا كان الرقم فايران تعتبر من أكثر بلدان العالم فظاظة ووحشية فى التعامل مع المعتقلين وبسبب وجود السـافاك نجد أن المقر الاول للاستخبارات الأمريكيـة

فى المنطقة هو طهران وهذا ما أعلنه (فيكتور مارشين وهو مسئول سابق فى وكالة الاستخبارات الامريكية) وذلك فى مؤتمر صحفى عقده فى لندن (٥ – ٩ ٧٤) بمناسبة صدور كتاب له عن (C.I.A) حيث أعلن أن الوكالة نقلت مقرها من أثينا الى طهران نظرا لأهمية ايران ولتغير النظام فى اليونان .

هذا وقد دفعت الأحداث الأخيرة شاه ايران الى اقالة رئيس السافاك الجنرال نعمة الله نصيرى ربما لامتصاص نقمة الجماهير وربما لأن نصيرى لم يتوقع مسبقاً حدوث الاضطرابات خاصة التى بدأت فى « قم » ولم يستطع القضاء عليها قبل اشتعالها وقد عين مكانه الجنرال « ناصر مقدم » رئيس الاستخبارات العسكرية .

وتتهم الثورة الاسلامية السافاك بأنها كانت وراء الحريق الذى اشتعل داخل سينما « ركس » فى ميدان عبدان فى ٢٠ أغسطس – ١٩٧٨ وارتفع عدد ضحاياه الى ٤٣٠ قتيلا محاولة (السافاك) عكس الهجوم عن طريق التكتيك المضاد وقد أصدر الطلبة الايرانيون فى باريس بياناً جاء فيه « ان هذه الجريمة الشنعاء ذات ابعاد كبيرة ارتكبها نظام الشاه الذى يتبع بالضبط أساليب النظام الهتلرى » مشيرين بذلك الى الحريق الذى احدثه هتلر فى «الرايشتاغ» الألمانى وكان حريقاً كبيراً ما لبث أن اتهم خصومه بافتعاله وقام بالتالى بتصفيتهم تصفية سريعة وقد روى السيد

(صادق قطب زاده) احد المسؤلين الاعلاميين فى الحركة الاسلامية لصحيفة « النهار العربى والدولى » تفاصيل الحادث كما يلى .. « جاء البوليس واحاط بالسينما قبل ساعة من وقوع الحادث متظاهرا بأنه هناك عناصر هدامه فى الصالة ويقول حراس السينما ان البوليس اخذ المفاتيح طالبا منهم الانصراف الى منازلهم وبعد نصف ساعة من مجىء البوليس خرج ستة أشخاص من السينما فلم توقفهم الشرطة ، بعدها بدقائق أخلى البوليس الساحة واختفى ثم اندلعت النيران من دون أن يستطيع احد الخروج ومعلوماتنا تقول أن عدد الضحايا ارتفع الى ٧٠٠ » ويضيف السيد صادق « أولا مركز البوليس فى عبدان يقع على بعد ٢٠٠ م من السينما فلماذا لم تهرع الشرطة الى مكان الحادث خاصة انها تستطيع ان ترى النيران المشتعلة ؟ قائد البوليس فى منطقة عبدان الجنرال رازمى كان كولونيلا منذ ستة اشهر فى مدينة « قم » الدينية . وهناك نفذ جريمته الأولى بعدها تم نقله بلقب جنرال الى عبدان . ان الحرائق لم تشتعل فى السينما بسبب قنبلة عادية ، لقد وضعت فى الصالة قنابل حراقه وهذه القنابل لا يملك مثلها فى ايران سوى أفراد الشرطة والجيش ، فى عبدان أهم فرق الاطفاء لان عبدان فيها مصافى النفط ويقع مركز الاطفائية على بعد كيلو متر واحد من السينما فلماذا لم تأت سيارات الاطفاء الا بعد ثلاث ساعات والسيارة التى وصلت أولا كانت فارغة من الماء ؟ .. »

هذه احدى ثمار السافاك الأساس الثانى الذى اعتمد عليه الشاه بعد الجيش ، قد نفهم ان يحاول نظام ينهار ان يدافع عن نفسه .. ولكن االى هــذا الحد وبهــذا الشــكل الدموى الرهيب !!

٢

كتب الشاه محمد رضا مرة يقول : « كان أبى معجبا بماضى فارس المجيد حريصا على صـيانة مالا يتعارض مع التقدم من تقاليدنا الموروثة ، ولكنه كان شديد الاقتناع بأن اســتقلال الأرض وســيادة الأمة ورفاهيــة الشــعب أمور لا سبيل لها الا بالتمثل العاجل بالغرب » .

هكذا كان يفكر رضا خان وهكذا استمر الشاه على نحو أوســع فى الوقت الذى كانت الجماهير تحافظ وتتمســك بايديولوجيتها الاسلامية ومن هنا حدث التناقض مع نظــام الشاه الليبرالى وفى الوقت الذى كانت الأنظمة الليبراليــة تتهاوى فى المنطقة بعد أن فقدت مبرر وجودها وذلك لتخلى الساحة للانقلابات العسكرية التى كانت فى اعمهــا محاولة اخرى من الاستعمار للحفاظ على وجوده واستمراريته فى هذا الوقت حاول الشــاه انقاذ نظامه الليبرالى من الانهيار باحتمال الثورة من داخل النظام او الثورة من فوق فأعلن « الثورة البيضاء » ففى ١٩ مايو ـ ١٩٦١ وجه نداءآ الى الشعب الايرانى يعتبر أول شرارة فى ثورته وطلب من المجلس

النيابى اعطائه صلاحيات استثنائية حتى يستطيع تنفيذ برنامجه الثورى او الاصلاح **(يلاحظ أن أغلب الأنظمة العسكرية قامت للحصول أيضاً على صلاحيات استثنائية)** وقد اختار للعمل معه كرئيس للوزراء الدكتور على أمينى وزير مالية مصدق وابن خالته فى نفس الوقت والذى كان يتمتع بدهاء سياسى واضح .. وفى ٢٦ يناير ـ ١٩٦٣ استطاع الشاه الحصول على تأييد البرلمان (المزيف طبعاً) لثورته واعلن الغاء الاقطاع والتصديق على قانون الاصلاح الزراعى وتأمين جميع الغابات والمراعى فى البلاد واشراك العمال فى صافى الارباح وتعديل قانون الانتخاب بحيث اعطى المرأة حقها فى الانتخاب واعلن عن انشاء كتائب التعليم الاجبارى وانشاء دور العدل فى الأقاليم (بيوت الانصاف) .

وفى ٦ ـ أكتوبر ـ ١٩٦٧ أعلن استمرار ثورته البيضاء باصدار ثلاثة مبادىء جديدة :

١ ـ تأميم لمصادر المياه السطحية والجوفية فى ايران .

٢ ـ اعادة بناء كل مرافق ودور الحكومة وبحيث تتمشى مع روح العصر .

٣ ـ الثورة فى الادارة والتعليم .

وفى حين بدأ ثورته البيضاء هذه وضع خطة للتصنيع ضخمة وطموحة كل هذا من أجل أن تصبح ايران الفارسية

العلمانية القوة الثالثة فى العالم أو اليابان الجديدة واستمرارا فى طرح برنامجه عطل المادة الدستورية التى تنص على مراقبة علماء المسلمين للدستور والقوانين وعدم سن أى قانون يخالف الشريعة الاسلاميه ، وفى الحين الذى كانت تصرف فيه أموال الأوقاف الاسلامية على المساجد ومعاهد المسلم صادر هذه الأوقاف بحجة الاصلاح الزراعى .

وقبل ان ننظر فى حقيقة هذه الثورة ونتائجها نشير الى ان الامام الخمينى رفض خطوات الشاه هذه منطلقاً من قناعته بأن السلطة الايرانية المرتبطة أساساً بالاستعمار والتابعة له انما تصدر فى كل ممارساتها عن توجيهاته وانه (أى الامام الخمينى) ليس ضد الاصلاح ولكنه يرفض التنازل عن الأرض لحساب السماسره والعملاء والبهائيين ، وانه ضد السيطرة الأمريكية ، ضد الدكتاتوريه والأرهاب والتجويع ، ضد تحطيم الثقل الاقتصادى والهيبة الاسلامية للعلماء .

ومنذ البداية يطالعنا التصور الخاطىء للشاه عن الثورة والتطوير فالدخول الى عصر التصنيع وعالم القوة لا يتحقق بمجرد الرغبة أو بالمال والاعلام فقط أى لا يتحقق بمجرد توافر بعض الشروط الموضوعية . ان الثورة هى عملية تغيير شامل تحتاج لمناخ خاص سياسيا ونفسياً يقنع الجماهير لتضحى بالحلول المؤقتة وتعبئتها لمعركة طويلة الأمد ، فايران كدولة من دول العالم الثالث لا تملك مستعمرات تنهبها وتدفع ثمن التكنولوجيا ، والتعبئة المطلوبة لن تكون بمعزل من ايديولوجية الجماهير .. ولن تكون بمعزل عن الاسلام

اى ان الثورة الحقيقية فى العالم الاسلامى لا يمكن ان تنفصل عن الاسلام بأى شكل من الأشكال .

هذا من ناحية . اما من الناحية الاخرى وهى ان النظام الايرانى استعان بالتكنولوجيا الغربية المتفوقة التى جلبتها الشركات التى دخلت البلاد ، راغبا فى تحقيق معدل تنمية مرتفع بسرعة شديدة غير ان هذه الاستعانة بالشركات الراسمالية العالمية التى جعلت من الاقتصاد الايرانى مجرد امتداد هامشى للسوق الراسمالية يخضع لتذبذباتها وفى نفس الوقت غير قادر على الوقوف فى وجه الاحتكارات العالمية ومن جانب اخر تم التركيز على بذل استثمارات ضخمة فى حفنة من المشروعات الصناعية الكبرى التى تستعين بمستوى تكنولوجى مرتفع دون العمل على تنمية بقية الصناعات بصورة متوازنة ، **والآن ماذا يقول خبراء الاقتصاد فى الاقتصاد الايرانى ؟** . يقول الاقتصادى البريطانى (فريد هوليداى) مؤلف كتاب « الامبريالية العالمية » : (لدى تحليل الاقتصاد الايرانى تبدو التوقعات مظلمة دون شك ولا نقصد أن كارثة ما ستحدث ولكنها على الاقل ستجعل من الحديث عن « يابان جديدة » واللحاق بأوروبا مجرد كلام لا مغزى له)

ويقول تقرير لمعهد (هوستون) الأمريكى فى اوائل عام ١٩٧٧ « حتى اذا تحققت هذه الأهداف خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن الحالى فان ايران لن يكون الا صرحا

صناعيا لم يكتمل بناؤه بعد . تعلوه زخارف السلطة وقوة التأثير الدولى دونما جوهر حقيقي سواء للسلطة أو القوة »

وتقول النشرة السنوية للشرق الأوسط الصادرة عن دائرة ابحاث مجلة الايكونومست البريطانية ١٩٧٧ « ليس كل شيء حقا كما يبدو للوهلة الاولى على الصعيد الاقتصادى فوراء الازدهار الواسع فى السنوات الماضية والتى سجلت ايران خلالها بثبات واحد من أعلى المعدلات الانتاجية الفوقية فى العالم (بسبب ارتفاع عائدات النفط فى تلك السنوات بعد ٧٣) توجد نواقص جذرية فى البنيان الاقتصادى ذات دلالات متوسط وبعيدة المدى وتشير الأرقام الاخيرة الى ان نمو الانتاج القومى الاجمالى قد توقف من الناحية العملية ، ان حقيقة ان ايران تسير بميزانية ذات عجز يزيد قليلا عن ٢٠٠٠ مليون دولار فى السنة المالية (٧٦ ــ ١٩٧٧) وهى تخطط لاستدانة ١٠٠٠ مليون على الأقل من الخارج هذه الحقيقة ليست بحد ذاتها كبيرة الأهمية ولكن ما يقلق المخططين فى ايران هو أن الهوة بين مداخيل النقد الاجنبى ومدفوعاته تتقارب بسرعة والسلطات منزعجة من حجم راس المال الخاص الذى يغادر البلاد فقد كان فائض ميزان المدفوعات الكلى فى السنة المنتهية بتاريخ ٢٠ مارس (ازار) ١٩٧٥ يبلغ ٥٠٠٠ مليون دولار ولكن بعد عام واحد كان هناك نقص كلى يبلغ حوالى (١٠٠٠ مليون دولار) ولابد أن يزداد النقص خلال العام الحالى والواقع انه اذا استمر ارتفاع المدفوعات الجارية الى نفس المبلغ الذى وصلته فى عام (٧٥ ــ ٧٦) فان

من الممكن حدوث عجز فى الحساب الجارى يصل الى ٣٥٠٠ مليون دولار » .

ونستطيع أن نضيف الى كل هذا :

١ ـ توسيع مجال الاستهلاك خاصة الاستهلاك الترفى فقد ارتفع حجم السلع المستوردة بنسبة ٧٧ ٪ حسب احصاء رسمى لوزارة الخارجية الايرانية لتصبح حجمها عام ٧٦ (٦٧٠٠ مليون دولار) قد ساعد هذا التعاظم التسديد للواردات وارتفاع اسعارها الى حدوث تضخم بلغ ٢٠ ٪ فى السنوات الأخيرة الأمر الذى كلف الشعب الايرانى كثيراً خاصة وان هذا التضخم ساعد على ازدياد الفوارق الهائلة فى مستويات المعيشه بين الفقراء والأغنياء .

٢ ـ فى القطاع الزراعى الذى يعيش عليه ٥٣ ٪ من السكان لم تحقق الثورة البيضاء الا فشلا اقتصاديا ذريعاً فقد كان الاهمال من نصيب الزراعة التقليدية ، هذا الاهمال الذى ادى الى عجز النظام عن استيعاب الزراعة فى عملية نموه الراسمالى بل اضطرت ايران التى كانت مكتفية ذاتيا فى الطعام الى استيراد ٦٠ ٪ من استهلاكها من المواد الغذائية وانتشرت البطالة فى الريف بين مليون ونصف عائلة لم تحصل على اى نصيب فى الأرض فى برنامج الاصلاح الزراعى ، هذا ولا يزيد معدل الانتاج الزراعى عن ٢ ٪ وهى اقل من نسبة زيادة السكان .

٣ ـ فى القطاع الصناعى اعترى أوجه الصناعة ضعف واضح ولم تستطع الزيادة الكمية الحادثة فى الانتاج الصناعى

ان تزاحم البضائع المستوردة بسبب تدنى مستواها وبعيث مجموعة الصناعيين الايرانيين مرتبطة بالمراكز الصناعية والمالية المتقدمة ولم تستطع هذه المجموعة رغم قوتها النسبية أن تفلت من اسار الشركات الاحتكارية العملاقة متعددة الجنسية .

٤ ـ فى الجانب الاجتماعى : نرى تفاقما فى الفروق الهائلة فى مستويات المعيشة واختلال فى توزيع الدخل ويتساءل الشاه فى حديث له مع التايم الأمريكية « .. لابد أن هناك خطأ ما .. اذ كيف يرتفع دخل الفرد من ١٦٠ دولار فى السنة الى ٢٣٠٠ دولار وتكون النتيجة هى هذا الرفض » . متناسيا أن هذا الارتفاع فى الدخل هو رقم نظرى يمثل زيادة دخل الدولة فقط ولا يمثل ارتفاع حقيقى فى القدرة الشرائية لأفراد الشعب ومتناسيا ايضا أن ١٠ ٪ من السكان يملكون ٤٠ ٪ من الدخل القومى وأن متوسط الدخل للفرد فى الريف لا يزيد عن ٢٠٠ دولار سنويا .

٣

وهكذا ما أن شارف عام ١٩٧٧ على الانتهاء حتى وجد نظام الشاه نفسه فى مواجهة مشاكل داخلية متعددة :

١ ـ برامج التنمية المتعثرة بسبب ارتباطها بالاحتكارات العالمية من ناحية وبسبب اعلانها دون تعبئة ايديولوجية

للجماهير ، هذه التعبئة التى بدونها يصبح نجاح البرامج شبه مستحيل خاصة فى دول العالم الثالث النامية ، ويحد من ظهور هذا التعثر بشكل حاد عائدات النفط الضخمة .

٢ ـ مشكلة التبديد والتبذير الذى يقلل من امكانية النظام فى الاستمرار ويصل هذا التبديد قمته فى الاسراف على شئون الجيش والسافاك وحفلات القصر ولا زال الجميع يذكر الاحتفال بذكرى مرور ٢٥ قرن على ظهور امبراطورية الفرس هـذا الحفل الذى كان الطعام الفاخر يجلب الى الضيوف من مطعم « مكسيم » بباريس فى وسط جو اسطورى صنعه الشاه حول نفسه كما يظهر التبديد فى التحويلات الهائلة للخارج لصالح الشركات الاجنبية ولصالح الطبقة الحاكمة من أمراء وأميرات وكبار الضباط الذين قيل انهم هربوا أخيراً ٢٤٠٠ مليون دولار ويكفى أن نعرف أن جنرالا واحداً من أعضاء الحكومة العسكرية السابقة هرب للخارج ١٧ مليون دولار .

٣ ـ وهناك مشكلة الاقليات البلوخستانية والعربية والكردية، هذه الاقليات التى لن تلتقى وتنصهر الا من خلال العقيدة الاسلامية التى يطالب الامام الخمينى بتحكيمها وليس من خلال نظريات « التفريس » التى يطرحها الشاه اى أن الاقليات تشكل خطراً دائماً طالما أن سياسة (التفريس) قائمة ويشعر الشاه بالتخوف من تكرار تجربة بنغلاديش .

٤ ــ والمشكلة الداخلية الأخيرة التى يعانى منها نظام الشاه هى أزمة الديمقراطية ، فالشاه يرى أن الديمقراطية والجدل الحر حول القضايا القومية هما من الأمور التى لا تستطيع ايران تحملها حاليا !! ــ ويقول فى عام ١٩٦٩ : « واخيراً فقد بلغ بى السخط حداً قررت معه التخلى عن الديمقراطية والعمل عبر المراسيم » وعندما انشأ حزب « راستاخيز » كان المعيار الوحيد لعضويته هو الولاء للدستور والملكية والثورة البيضاء وخارج حزب راستاخيز كما يقول الشاه لم يعد هناك متسع للحياد السياسى ، والذى لا يدعم الحزب امامه خياران اما السجن واما مغادرة البلاد نهائياً وتقوم السافاك بترجمة هذه المفاهيم بطريقتها الخاصة من خلال ممارسة دموية رهيبة ضد الشعب الايرانى بكافة اتجاهاته وفئاته .

الفصل السادس

المعارضة والاقليات

فى الوقت الذى ترى فيه الماركسية أن الحزب هو تعبير عن مصلحة طبقة محددة وان الكيانات التنظيمية تنطلق دائماً من نشاط شرائح اجتماعية محددة أيضاً ، نرى الواقع الايرانى يحطم هذه النظرية ويهزأ بكل مقولات وشروح الماركسيين حولها فالحزب الشيوعى الايرانى نفسه ليس أكثر من تجمع لبعض المثقفين البرجوازيين فى الحين الذى يفترض فيه ان يمثل العمال والكادحين الذين نجدهم ينتمون كلية للحركة الاسلامية ، الحركة التى يقودها الزعماء الدينيون الذين هاجمتهم صحيفة « البرافدا » فى وقت سابق واتهمتهم أنهم سبب الاضطرابات بسبب معارضتهم لاصلاحات الشاه الخاصة بتحديد الملكية « التى ضربت مصالح كبار رجال الدين » والحركة الاسلامية تضم غالبية الجماهير الايرانية على أساس فئوى وطبقى فهناك العمال والفلاحين والطلبة واساتذة الجامعات والفنيين وهناك الفقراء والأغنياء ومتوسطى الحال اجتمعوا جميعاً تحت غطاء الايديولوجية الاسلامية التى تعبر عن ثقافتهم وأصالتهم ومصالحهم فى نفس الوقت . وعندما نتكلم عن المعارضة

وفصائلها فيجب أن نأخذ فى الاعتبار انه حتى التنظيمات التى فى خارج الحركة الاسلامية لا يستطيع أغلبها العمل فى البلاد دون ان يحصل على ثقة وموافقة الزعامة الدينية .

٢ ـ الحركة الإسلامية :

تدين جماهير الشيعة بالولاء لعدد من رجال الدين والعلماء المجتهدين ويسمى هذا العالم المجتهد بالمرجع الدينى الذى يحصل على « اجازة » من مجتهد أكبر منه بتعليم الدين والافتاء وتأليف « رسالة » ويوجد فى العالم الاسلامى حوالى عشر مراجع منهم شريعة الله مدارى وآية الله الخمينى والسيد أبو القاسم الخوئى وشهاب الدين النجفى المرعشى وغولبا بيكانى ومحمد الشيرازى « المقيم فى الكويت » ومحمد الخنسارى .

ولكن الزعامة العليا تنقسم بين آية الله الخمينى الذى يرجع اليه أكثر المسلمين الشيعة فى أمورهم فى ايران والباكستان والهند وأفغانستان والسيد ابو القاسم الخوئى المرجع الأعلى فى العراق . وغالباً ما يقوم نفوذ المرجع الدينى ليس على تفقهه الواسع فى الدين فقط بل أيضاً لتصديه للمسائل التى تهم غالبية الجماهير ومن هنا فان عظمة آية الله الكاشانى المرجع الأكبر اثناء حركة مصدق لم تكن بسبب علمه الجم فقط بل بسبب مواقفه السياسية كما تعود شعبية الامام الخمينى بسبب جرأته فى تبنى ثورة

١٩٦٣ وتصـديه للتـــاه وقيادته للتنظيـمات الاسـلامية السياسية فى داخل وخارج ايران .

وفى الوقت الذى يقابل النجف الاشرف فى العـــراق الفاتيكان الى حد كبير فان المرجع الدينى يقابل الكاردينال ويتجمع حول كل مرجع دينى حوزة علمية واهم الحوزات فى ايران توجـد فى قم تليهـا حوزات خراسـان وطهـران واصفهان ويزد وتبريز . وتدرس العلوم الاسلامية فى هذه الحوزات التى تعتمد الاجتهاد فى مواجهة كل المواضيـع ذات الصلة بالتشريع الاسلامى ويقدر عدد المنتسبين الى الحوزات الستة المذكورة حوالى ١٦٠ الف صـاحب عمامة وبعـد ان يتخرج طالب العلم من هذه الحوزة يختار احد ثلاثة اتجاهات

١ ــ خطيب منبر ويسـمى بالمنبر الحسينى نسبة للامام الحسين بن على ويتناول هذا الخطيب موضـوعا سياسياً يتكلم فيه فترة ساعة أو ساعتين (يوم الجمعة) .

٢ ــ امام مسجد : وهذا لا يكتفى بامامة المصلين والقيام بالشعائر التعبدية فقط فهو يعطى أيضـاً الدروس ويكون مسؤلا عن القرية والمنطقة التى يقطن بها يتفاعل مع أهلها دينياً ودنيوياً ويصرف شئون أهلها .

٣ ــ مدرس : وينمو هذا المدرس بعلمه حتى يحصـل على اجازة من المجتهد الكبير لتعليم الدين واعداد رسـالة يصبح بعدها مرجعاً دينياً .

ويتغلغل أصحاب هذه الاتجاهات الثلاثة بين صفوف الجماهير مؤثرين في حياتهم بشكل يفوق تأثير الحكومة فهم يقومون بتقديم المساعدات الاقتصادية عن طريق البنوك اللاربوية التي يقيمونها ويساعدون الشباب على الزواج وتأثيث البيوت وكذلك جمع الخمس الذي يعتبر بالاضافة لموارد الأوقاف الدينية مصدراً للانفاق . وقد كان للمرجعية الكبرى في قم اتصالات بالشاه نفسه في فترة مرجعية الامام حسن الطباطبائي البروجردي فقد قيل أن الشاه كان يأتي سراً لمقابلة الامام في مقره بمدينة قم ولم يكن يدري أحد بما كان يدور بين الامام والشاه وان كان قد عرف أن للامام ثلاث رسل يتصلون بالشاه وهم الشيخ الفلسفي والشيخ احمد والامام آية الله الخميني ولقد حاول الشاه دوماً تقليص سلطة رجال الدين ولكن رغم الضربة التي وجهها لهم بتصفية ملكياتهم الكبيرة ومحاولة توزيع هذه الملكيات على الملاك المتوسطين ساعياً لايجاد طبقة جديدة يستعين بهم لتقويض نفوذ رجال الدين الا أن هذه الطبقة الجديدة استمرت حليفة مخلصة لرجال الدين تحت غطاء الايديولوجية الاسلامية التي تملأ نفوس وواقع المسلمين في ايران . ولقد ظهرت في أوساط الحركة الاسلامية الايرانية أكثر من منظمة فدائية نذكر منها منظمة « فدائيان اسلام » التي يقول عنها « برنارد لويس » في كتابه « الغرب والشرق الأوسط » انهم يحملون فكرة عن الوحدة الاسلامية تماثل الى حد كبير فكرة الاخوان المسلمين وقد تزعم هذه المنظمة شاب مؤمن

متحمس يدعى نواب صفوى وهو فى سن التاسعة والعشرين وقد حاولت هذه المنظمة الاشتراك فى حرب فلسطين حيث لبس رجالها اكفانهم واستعدوا للزحف الى هنـاك الا أن الهدنة التى وقعها العرب مع اليهود أوقفتهم .

وقاومت فدائيان اسلام النفوذ البريطانى ووقفوا بجانب مصـدق اثناء أزمـة البترول وقتلوا أيامهـا رئيس الوزراء الايرانى (رزم اراه) الذى عارض تأميم البترول .

ويصف صحفى مصرى « فدائيان اسلام » عام ١٩٥١ بانها اكبر جمعية ارهابية فى الشرق ! . وكان نواب صفوى يرفع شعار « لا طائفية بين المسلمين » اى لا شيعة ولا سنة، وانه لا تعارض بين الاسـلام والوطنية وفى حديث له لمجلة « المسلمون » قال نواب : « لنعمل متحدين للاسلام ولننس كل ما عدا جهادنا فى سبيل عز الاسلام .. الم يأن للمسلمين ان يفهموا ويدعوا الانقسـام الى شيعة وسنة لينظروا جميعاً فى كتاب ربهم وهو كفيل بتوحيدهم حتى يكونوا جبهة قوية متحدة امام أعدائهم المتربصين وأن الآلام والتضحيات التى يتحملونها فى سبيل هدفهم المشترك سوف يكون لها الأثر الفعال فى جميع القلوب » .

ولقد بقى نواب صفوى معارضاً للشـاه حتى سـقط برصاصة فى ١٨ ــ ١ ــ ١٩٥٦ .

ثم ظهرت من بداية الستينات منظمة أخرى استخدمت العنف أيضاً ضد السلطة وهي « منظمة فلسطين » ويدل اختيار الاسم على ما بين القدس وطهران من مسافة وما بين الشاه واسرائيل من غزل وقح يدل على وعى الحركة الاسلامية في ايران بخطورة اسرائيل كدولة استعمارية تجسد التحدى الصليبي واليهودى ضد الاسلام في هذا القرن ولقد طاردت منظمة السافاك هذه المنظمة بعنف وشراسة ويعتقد ان النظام استطاع تصفية هذه المنظمة الاسلامية التي كان لها دوراً كبيراً وصدى واسعاً في أوساط الحركة الطلابية ومن المنظمات الاسلامية الأخرى منظمة « جاما » الاسلامية التي بدأت عملها المسلح بعد أحداث ـ ١٩٦٣ ـ اغتال أحد أعضائها « محمد بخارائى » رئيس الوزراء الأسبق حسن على منصور .

وكذلك منظمة « مجاهدى الشعب » التي انطلقت على أساس الايديولوجية الاسلامية الثورية وكان من قادتها حنيف بوخاد ، وأحمد رضائى ، ومهدى رضائى ، وسعيد محسن الذين أعدموا من قبل الشاه ، ويشير توضيح نشر باسم رجال الدين المناضلون الايرانيون في بيروت ١٠ ـ ٩ ـ ١٩٧٨ أن هذه المنظمة تخلت عن الأيديولوجية الاسلامية بعد اعدام قادتها لصالح الفكر الماركسي ولقد توقف الدعم الشعبى عن هذه المنظمة كما يشير التوضيح فقامت بالتصفية الجسدية لعدد من القياديين الذين رفضوا التخلى عن الايديولوجية الاسلامية مثل حمدية لباف ومجيد شريف

واقفى ، كما كشفوا للسلطة عن أمـر الامام الطلفانى الذى يدعم المنظمة .

٢ ـ الجبهة الوطنية :

اسس هذه الجبهة الدكتور محمد مصدق عام ١٩٥٠ وكان وقتها يرأس لجنة البترول فى المجلس النيابى وسلكت هذه الجبهة اساليب النضال البرلمانى والسلمية للوصول الى السلطة وفعلا شكل الدكتور مصدق الذى وصل الى البرلمان عن طريق الانتخابات حكومة وطنية هى الوحيدة المنتخبة فى عهد الشاه وذلك فى ابريل ١٩٥١ ورفعت هـذه الحكومة شعار تأميم النفط وخاض مصدق فعلا معركة التأميم ضد الاحتكارات العالمية وطرد الانجليز عام ١٩٥٢ وطهر الجيش وخفف مدة الخدمة العسكرية وشكل لجانا للتحقيـق فى اختلاسات الضباط الكبار وغيرها وأراد جعل الشاه ملكاً دستورياً اسمياً فقط ولكن مصدق وجد نفسـه فى نهـاية الأمر فى موقف من الاضطراب والفوضى لا يحسد عليه حتى ان حزب توده الشيوعى سحب تأييده له وهاجمه متهماً اياه بالعجرفة والتطرف وبانه لا يعرف قمة رأسه من أخمص قدميه على حد تعبير الحزب . وفى ظل هذه الظروف قام الجنرال زاهدى بانقلابه الشهير وهكذا سقط مصدق الذى قبض عليه وحوكم بعد أن بطش زاهدى بالجبهة التى تفككت بعد ذلك لتعود على يد أنصار مصدق ففى ٢١ تموز ـ ١٩٦٠ أعلن المحامى حسن نزيه أمام ١٠٠٠ شخص من المجتمعين فى

بيت الزعيم الديني الفيروز ابادى عودة الجبهة الى الساحة وفى ١٩٦٢ أعلنت الجبهة التى عرفت بالجبهة الثانية ميثاقها الجديد الذى يطالب باعادة النظام الدستورى وبعدم تدخل الشاه فى شئون الحكم وبحل السافاك وضمان الحريات العامة والفردية الى أن الجبهة عادت فتفككت مرة أخرى لتنفصل عنها حركة تحرير ايران ويعلن المصدقيون عن قيام الجبهة الثالثة التى بقيت سريه حتى اعلنت عن نفسها يوم ٢٨ ـ اغسطس ـ ٧٨ بعد ان سمحت حكومة جعفر شريف امامى بعودة الأحزاب وقد عادت بقيادة كريم سنجابى وقد طرح سنجابى بعد عودته حلا وسطاً للازمة وهو الحد من سلطات الشاه ضمن ملكية دستورية الا انه بعد تهديد الخمينى له بطرده من حركة المعارضة وبعد الحوار الذى دار بينه وبين الخمينى فى باريس فى نوفمبر ٧٨ خرج سنجابى أكثر راديكالية رافعاً شعارات الخمينى وقد اعتقل سنجابى فى ٢١ نوفمبر ثم افرج عنه فى وقت لاحق .

٣ ـ اليسار :

(ا) حزب تودا الشيوعى : تأسس هذا الحزب يوم ٢٠ ـ اكتوبر ـ ١٩٤١ عندما فر رضا شاه من ايران واثناء تمركز القوات السوفيتية فى المنطقة الشمالية لايران خلال الحرب العالمية الثانية وشكل الحزب لجنة مركزية من ١٥ عضواً تولى أمانتها العامة (سليمان مارزا اسكندرى) .. وقد تبنت القوات السوفيتية حزب تودة واحتضنت

قادته وبدا يعمل بشكل علني فى شمال البلاد وسرا فى بقية المناطق وقد ساعد تردى الأوضاع الاجتماعية فى الشمال حيث ساعد وجود الملكيات الزراعية الكبيرة على أنتشار مبادىء الحزب كما ساعد على ذلك ايضا فساد الادارة المركزية والزعماء السياسيون الذين سقطوا فى اعين طبقات الشعب ومن جهة أخرى كان حزب تودا يعلن نفسه كحزب اشتراكى غير مرتبط بالشيوعية أو اى دولة تعتنق المذهب الشيوعى أو الاشتراكى كما استطاع الحزب جذب عناصر برجوازية عديدة اليه وتحت ظل تنظيم دقيق للغاية .

فقد استطاع جعفر بيشوارى قيادة حزب تودة فى الشمال وغير أسمه الى الحزب الديمقراطى الاذربيجانى وفى ديسمبر ١٩٥٤ طرد بيشوارى محافظ اقليم اذربيجان المعين من قبل الشاه واقام مجلس محلى ينتمى الى حزبه وشكل حكومة تحت رئاسته .. وقد قامت القوات السوفيتية بحماية هذه الحكومة واوقفت تقدم القوات المركزية المتقدمة وقتها للقضاء عليها وعندما تولى أحمد قوام السلطنة رئاسة الوزراء فى فبراير ١٩٤٦ أظهر ميلا لمساومة السوفيت واشرك حزب تودة كوزراء معه .. وكان يرسل بعضهم لدول العالم لشرح قضية بلاده أمام التدخل السوفيتى وهكذا أحدث شرخاً داخل حزب تودة واظهره امام الشعب الايرانى بمظهر العميل للاتحاد السوفيتى وفى ١٥ ديسمبر ١٩٤٥ تمكنت القوات الايرانية المركزية بحركة خاطفة من اسقاط المنشقين حيث هرب زعماؤهم الى الاتحاد السوفيتى ولقد بقى حزب

تودة قوياً حتى ١٩٥٤ لكن خلافة مع مصدق والضربات التى وجهها الشاه له بعد عودته للحكم عن طريق ملاحقة السافاك المستمرة ادت الى اضعافه كثيرا . . ورغم اعلان الحزب دائماً انه حزب العمال والفلاحين الا انه لم ينجح فى اقامة قواعد جماهيرية له وبقى منبوذا بين الأوساط الشعبية على اختلاف طبقاتها وجل أعضائه من المثقفين البرجوازيين وقد عارض حزب توده الحركة الشعبية بسبب قيادتها الاسلامية ورفعها للشعارات الاسلامية ولكنهم لم يجدوا بدأ فى النهاية من السير فى خط الثورة حتى لا يظهروا بمظهر أعداء الشعب وتتهم الحركة الاسلامية حزب تودة بالعمالة للاتحاد السوفيتى وخيانة القضية الوطنية وترفض التعاون معه .

(ب) حركات يسارية أخرى :

بالاضافة الى حزب تودة هناك فريق ماوى انشق على حزب تودة عام ١٩٦٥ ويسمى « توفانت» « الصاعقة » وهناك الرابطة الاشتراكية التى تأسست فى فترة حكم مصدق عام ١٩٥٢ .

هذا بالاضافة الى تنظيمات صغيرة ذات ميول مختلفة منها مجموعة « جزبى » التى تشكلت فى الستينات وانضمت عام ١٩٦٩ الى مجموعة ماركسية اخرى يتزعمها احمد زادة وأعلنتا عن اتحادهما فى منظمة واحدة هى (فدائى الشعب) التى تنادى باعتماد الكفاح المسلح فقط لاسقاط النظام الايرانى .

٤ ـ احزاب وطنية اخرى :

هناك مجموعة اخرى من الاحزاب موزعة فى ولائها بين الجبهة الوطنية والحركة الاسلامية ومن هذه الأحزاب حزب تحرير ايران الذى يتزعمــه الدكتور « مهــدى بازاركان » وكذلك حزب ايران وحزب الشعب الايرانى الاشتراكى .

٥ ـ الأقليات :

ورغم تسلط الأضواء على ايران طيلة العام الماضى الا ان هذه الأقليات بقيت خارج دائرة الضوء وربما كان هذا الاهمال مقصودا فهذه الأقليات تعمل بدهاء وخبث شديدين ومنها :

(ا) البهائية :

وهو فى الأصــل مذهب ينتسب الى محمــد على باب وهو رجل دين ادعى أنه الامام المهدى (الثانى عشر) وانه المرآة التى يتجلى فيها الله واستدعى من قبل الشاه ناصر الدين وطلب اليه الأخير أن يبرهن عما يدعيه ويبشر به .. ثم عقد له مجلسـاً خاصـاً مع بعض العلماء . فلما أعيته حيلة محاجتهم أمر ناصر الدين بقتله وعلى الرغم مما يرفعوه من شعارات التقريب بين كل بنى آدم والجمع بين الاتجاهات السـماوية الثلاث الا أنهم فى الحقيقة يكنون عطفاً خاصاً على اليهودية واسرائيل هى قبــلة معتنقيها وهم موجـودون فى ايران أكثر من أى بلد آخر .

ويقول خصومهم انهم لا يزيدون عن خمسة الاف بينما يدعى انصارهم انهم مائة الف ويشاع أن امير عباس هويدا ينتمي اليهم وكذلك بعض افراد الأسرة المالكة :

وفى ١٤ نوفمبر ١٩٧٨ م

قدم وفد عن الجمعية الروحية الوطنية للبهائيين فى فرنسا بياناً الى المجلس الاقتصادى والاجتماعى التابع للامم المتحدة اعرب فيه عن قلق الجمعية ازاء الأحداث الجارية فى ايران والتى يخشى أن تؤدى الى المساس بحياة وممتلكات المؤمنين البهائيين ـ على حد تعبير البيان ـ .

(ب) المسيحيون :

ويصل تعدادهم نصف مليون (المعرفة التونسية عدد ١٠ سنة ٤) وهم من الاثرياء الذين يسيطرون على مواقع ذات اهمية فى ايران .

(جـ) اليهود :

ويبلغ تعدادهم بضعة مئات من الآلاف (المعرفة التونسية عدد ١٠ سنة ٤) ويعتبرون من أثرى الطبقات فى المجتمع الايرانى .

الفصل السابع

الموقف الدولى

تعتبر ايران ذات اهمية خاصة فى السياسة العالمية على جميع الأطراف الدولية وتبنع هذه الأهمية من أسباب تجعل اى تطور داخلى مصحوباً دوماً بانعكاساته الخارجية عدة .

١ ــ البترول الايرانى : حيث تعتبر ايران رابع دولة منتجة للبترول بعد الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة والعربية السعودية وجل هذا الانتاج يذهب الى الولايات المتحدة واليابان واوربا الغربية واسرائيل وجنوب افريقيا كما تعتبر ايران الدولة الثانية فى انتاج الغاز الطبيعى بعد الاتحاد السوفيتى ومن المؤمل ان تصل قيمة انتاجها من الغاز عام١٩٨٥ ما يعادل قيمة إنتاجها من البترول والغريب فى شأن الغاز ان الاتحاد السوفيتى يشترى المتر المكعب منه بدولارين ويبيعه بما قيمته ستة عشر دولاراً !

٢ ــ تقع ايران فى الفناء الخلفى للاتحاد السوفيتى حيث تبلغ حدودها معه حوالى ١٢٠٠ ميلا وهذا العامل يشكل عنصراً هاماً فى السياسة الغربية الرامية الى عزل الاتحاد

السوفيتي ومنعه من الانتشار جنوباً ومن هنا نبعت أيضاً امكانية خلق قوة حربية فى ايران تحرس المصالح الغربية فى المنطقة وتقف فى وجه التهديد الشيوعى بالاضافة الى ارتباط الجمهوريات الجنوبية فى الاتحاد السوفيتي بايران بروابط عديدة .

٣ ـ لايران حـدود هامة على الخليج العربى تزيد عن الف كيلو متر تمكنها من الاشراف عليه والتحكم فيه بصفته طريق البترول الهام الى الغرب واليابان وجنوب أفريقيا واسرائيل .

٤ ـ وقوع ايران فى وسط حزام آسيوى اسلامى جعل لها دوراً هاماً فى قيادة هذا الحزام والتأثير فى دوله ومـن هنا فان ايران تأتى ضمن المناطق العالمية الحساسة وهـذه المناطق عادة تخضع لسلوك خاص فى مفهوم علاقات التوازن الدولية فكونها تدخل ضمن اطار المصالح الحيوية والأمـن القومى للأطراف الدولية الكبرى يجعل هذه الدول تحاول دوماً التقدم لتحقيق المكاسب المباشرة والغير مباشرة ولـكن بحذر يدرك خطورة الوضع وردود الفعل الممكنة ولهذا فان عملية خرق لحدود الوفاق الدولى تشكل خطراً ليس فقط على آمن الدول الكبرى بل على مصير العالم بأسره ، ومـن هنا تتسم اللعبة ضمن طابع الحذر والتفهم كمـا سـنرى عند دراسة وضع كل القوى العالمية بالتفصيل .

بقيت نقطة اخيرة قبل شرح مواقف الدول الكبرى وهى ان هذه الأهمية الاستراتيجية سواء لايران او لاى بلد أخرى مثلها تجعل السياسيين فى هذه البلدان وكأنهم لا يملكون حرية كبيرة فى اتخاذ القرارات السياسية التى تتعارض مع مصالح هذه القوى كما ان هؤلاء المسؤلين يدركون سلفاً مثل خطورة هذه القرارات على مستقبلهم السياسى .. والآن لننظر فى الموقف الدولى بالتفصيل .

١ ـ الولايات المتحدة الأمريكية :

لفهم الدور الأمريكي فى ايران يجب ان نفهم أولا الاطار العام للأهداف العالمية التى تقع ضمن نطاقها المصالح الأمريكية وأول هذه الاهداف هو المحافظة على الاستقرار العام على المسرح العالمى .. بما يخدم فى النهاية المصالح الاستعمارية للولايات المتحدة فالخطورة من وجه النظر الأمريكية تكمن فى عدم الاستقرار الذى يولد التوتر والمنازعات سواء الداخلية والخارجية وهذا قد يقود الى محاولات راديكالية للتغيير تهيء فى النهاية مجالا مضريا للنشاط الشيوعى أو أى نشاط معاد للولايات المتحدة ، وهذا الهدف يقودنا مباشرة الى الهدف الثانى وهو عملية احتواء التوسع السوفيتى حيث يمثل الاتحاد السوفيتى ومؤيدوه مركزاً منافساً ورئيسياً للقوة العالمية ممكن ان يهدد احياناً طموحات الولايات المتحدة والدعوة الى الاستقرار على الطريقة

الأمريكية تعنى دوماً ان تشرف الولايات المتحدة على عمليات نزع الفتائل وحل التناقضات لتحل المعادلة الميكانيكية .

« التضحية بالصديق من أجل اجهاض عـدو قادم » فما يهمها دوماً هو حفظ جوهر النظام مهما كان الشـكل النهائى فليس المهم أن يبقى الصديق فى الحكم المهم ان يبقى ولاء النظام ضمن شروط موضوعية تراقبها الولايات المتحدة باستمرار « ومراقبة أجهزة المخابرات الأمريكية » لكثير من الأنظمة فى المنطقة أصبح لا يخفى على اى مطلع اليوم هـل نفهم من هذا أن الولايات المتحدة وقفت موقفاً سـلبياً من الشاه .. ومتى .. ولماذا ؟ .

قبـل الاجابة لابد من التذكير بطبيعـة الدور الايرانى واهميته بالنسبة للولايات المتحدة فى تقرير نشر منذ حوالى عام عن لجنة العلاقات الدولية التابعة للكونجرس الامريكى اشارات الى أهمية المصالح الأمريكية الايرانيـة فالى جانب كون ايران قاعدة اقليمية استراتيجية وتشكل مع اسرائيل خط الدفاع الأول من المصالح الغربية فان من المعروف ان مقر وكالة الاستخبارات المركزية (C.I.A) قد نقل الى طهران . كما أنها حلقة رئيسـية فى المخططات العسـكرية الأمريكية وعضواً مشاركاً للولايات المتحدة فى الحلف المركزى وتربط الولايات المتحدة بعقود ثنائية تشمل جميع الميادين العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية وشئون الطاقة . هذا بالاضافة الى أن ايران تشكل سوقاً هاماً للصادرات الأمريكية

فهى تحتل المركز الأول فى الأسواق الايرانية وتشكل نسبة ٢٠ ٪ من واردات ايران بدون السلاح وينتظر أن يبلغ معدل المبيعات الأمريكية لايران فى الفترة (٧٥ ـ ٨٠) نحو ٥٢٢ مليار دولار هذا وقد ازداد هذا التقارب فى بداية السبعينات لأسباب عديدة :

١ ـ اقتناع أمريكا بعد هزيمتها فى جنوب شرق آسيا بضرورة وجود قوة محلية تقوم بنفس الدور الأمريكى .

٢ ـ دلالة حرب اكتوبر ، فقد تقلصت أهمية الشريك الثانى لايران فى خط الدفاع الأول عن المصالح الغربية خاصة وأن وجود اسرائيل فى محيط عدائى يقلل من قدرتها على الفعل بل ربما كان سبيلا لانهيار انظمة حليفة للغرب !

٣ ـ تعاظم الدور السوفيتى فى المحيط الهندى واقترابه من البحر الأحمر فى حين تسمى الولايات المتحدة للقيام بهذا الدور وحدها .

٤ ـ خوف الشاه من تكرار تجربة بنغلاديش خاصة وأن هناك تشابها بين التركيب الباكستانى والايرانى .

٥ ـ تعاظم عائدات النفط مما يجعل ايران حليفا استراتيجيا قويا يشارك فى تحسين ميزان المدفوعات الأمريكى .

ويلخص الكاتب الأمريكي « مايكل كلير » الاستراتيجية بعد ذلك حيال ايران بالنقاط الرئيسية الثلاث التالية :

١ ـ تحويل ايران الى دولة كبرى محلية قادرة على مواجهة اى تهديد للامر الواقع الحالى وللاستقرار فى الخليج مما يضمن سيطرة الولايات المتحدة على منابع النفط ومداخله وطرقه هيمنتها على المنطقة بواسطة القوة العسكرية

٢ ـ تحسين قدرات الحكومة الايرانية لتمكنهما من الامساك بالأمن الداخلى وتعزيز العلاقات الأمريكية مع الجيش الايرانى .

٣ ـ اعتبار الاستقرار السياسى الايرانى قاعدة اساسية فى منطقة الخليج باسرها .

ويؤكد المعنى السابق تقرير الكونجرس الأمريكى الذى يقول :

« أن للولايات المتحدة مصلحة مباشرة فى ايران مستقره سياسياً ويمكن الدفاع عنها اذ أن هذه الأمة ما تزال حائلا دون روح المغامرة فان من شأن ايران قوية ومستقرة ان تشكل عائقاً امام الفصائل الراديكالية فى الخليج » .

والعبارة الأولى من التقرير تذكرنا بحديث الشاه لمجلة نيوزويك الأمريكية ٢٤ ـ ١ ـ ١٩٧٧ .

« اذا لم تكن لكم ايران قوية قادرة على ضمان امنها الخاص وامن المنطقة (الخليج) وفى حال الضرورة امن المحيط كله فماذا تراكم فاعلون ؟ .. هل انتم مستعدون لارسال مليون جندى أمريكى فى مكان ما من المنطقة ؟ هل انتم راغبون فى ڤيتنام اخرى » .

أما العبارة الاخيرة من التقرير فتذكرنا أيضا بحديث الشاه مع « سلزبرجر » مراسل هيرالدتربيون عام ١٩٧٥ « تصور هؤلاء الهمج (ثوار ظفار) سيطروا على الضفة الثانية لمضيق هرمز وان حياتنا باتت رهناً بأيديهم » .

وبعد فان كانت المصالح الامريكية ترتبط بايران بمثل هذه القوة فلماذا الشائعات عن الموقف الامريكى السلبى ولماذا الاشارة المتعمدة والمبكرة من طرف كارتر ضد الشاه بخصوص قضية حقوق الانسان .

هذا التساؤل الاخير لا يمكن شرح الاجابة عليه الا من خلال الأنباء المؤكدة عن وجود اتجاهين فى الادارة الأمريكية .

الاتجاه الأول : الذى يدعو الى تثبيت حكم الشاه شخصياً ويتزعم هذه الاتجاه الجناح الأمريكى المتعاطف مع الخط الاسرائيلى داخل الكونجرس وفى وزارة الدفاع وعلى راس هذا الاتجاه يأتى السناتور الأمريكى هنرى جاكسون الذى يطالب لا بتقييد الشاه بل بتقوية دوره ومضاعفة

وسائله العسكرية ، ويصف أحد كتب الامام الخميني بأنها نسخة حديثة عن كتاب كفاحي لهتلر وسنتكلم عن مبررات أخرى لهذا الاتجاه عند الحديث عن اسرائيل .

الاتجاه الثاني : وهو الذي يقول أن الاستقرار لا يرتبط بالضرورة ببقاء الشاه شخصياً بل في وجود حكم قوى اقرب الى الشرعية وقادر على احداث اصلاحات اجتماعية واقتصادية وبالتالي تطويق اي تغيير راديكالي محتمل ويرى بعض منظري هذا الاتجاه أن الشاه شخصية متعصبة قومياً وانه ليس بليونة حليف آخر كالسعودية مثلا فهو يحاول أن يكون حليفاً قوياً يمارس لعبة التوازن بشكل لا يرضى دائماً الولايات المتحدة فهو مثلا يشترى السلاح من أوروبا الغربية بوفرة مزعجة وفي أيام التظاهرات العنيفة في طهران ١٩٧٨ نشرت التايم خبراً مفاده أن بريطانيا هي بصدد توقيع اكبر عقد عسكري عرفته في تاريخها وهو عقد بناء مجمع صناعي هائل في اصفهان لانتاج الذخيرة تبلغ تكاليف بناءه اكثر من ٧٥٠ مليون جنيه استرليني ، هذا بالاضافة الى الموقف المتشدد في قضية ارتفاع الاسعار البترولية التي تتبناه ايران ، وفي الزيارة الأخيرة للشاه الى الولايات المتحدة طلب الشاه من كارتر التوقف عن حكاية حقوق الانسان التي تثير أعصاب الشاه فطلب منه كارتر اتخاذ موقف نفطي قريب من موقف السعودية أي مناهض لارتفاع اسعار البترول وبالفعل فعندما انعقد مؤتمر الأوبك بعدها في كاراكاس فوجىء الجميع بموقف ايراني ينافس الموقف السعودي في الاعتدال .

وبعد كل هذا فقد أصبح الاعتقاد ان الولايات المتحدة التى اتت بالشاه الى السلطة عام ١٩٥٣ اصبحت اليوم مياله الى التخلى عنه تحت ضغط الظروف المتغيرة هذا رغم خطورة المحاولة ــ ولكن هل كان البديل هو الحل الاسلامى ــ معاذ الله ــ الولايات المتحدة راس النفاق فى العالم والتى وقفت لكل حركة اسلامية بالمرصــاد . فهى تعــرف معنى قيام دولة اسلامية مستقلة وخطورة هذا على مصالحها .. الولايات المتحدة تعرف خطورة وصــول الامام الخمينى الى قمــة السلطة وهو الذى قال فى أحد رسائله لليندون جونسون عام ١٩٦٤ :

ــ ليعلم رئيس الولايات المتحــدة الأمريكيــة اليوم انه اقذر انسان على وجه الأرض لدى الشعب الايرانى .

ان ما تفكر أمريــكا به الآن هو كيف يمــكنها اجهاض الثورة الاسلامية ، وهل من المناسب أن تنحنى للريح فى هذه المرحلة أم لا ..

اذن ما هو البديل ؟ !

هناك دائماً فى الحســابات الامريكية عدة إحتمالات وعدة حلول للازمات ، لابد من وصول رجل أكثر ليونة مع جميع الأطراف يكمل سياستها ويمتص النقمة الشعبية .

ولهذا يقال ان استقالة عباس هويدا كانت بناء على نصيحة احد الأصدقاء الحميمين مظهراً موقفاً متحفظاً تجاه ما يجري في البلاد ومجهزاً نفسه كي يلعب دوراً حاسماً في المرحلة المقبلة وان كانت اللعبة لن تستطيع احتمال هويدا فهناك على اميني السياسي الداهية والوزير السابق في حكومة مصدق الوطنية .. وتظل امريكا تمسك اوراق اخرى مثل شاهبور بختيار عضو الجبهة الوطنية والمعروف بماضيه ضد الشاه فقد اعتقل ست مرات بدون محاكمة ، وهكذا فان تنازل الشاه للأمير رضا في وجود هويدا أو أميني أو بختيار او اى بديل آخر يبقى احد الأوراق الامريكية ، كل هذا في ظل دعم من الجيش المليء بالخبراء والعملاء والاصدقاء ولكن هل يمكن أن تمر الاعيب امريكا على الامام الخميني والحركة الاسلامية وجماهير الشعب الايراني .

ان وعي وصلابة الخميني تشيران الى ان اغلب الاوراق لا زالت في يده .

٢ ـ الاتحاد السوفيتي :

يحاول الاتحاد السوفيتي اختراق حاجز الأمن المحيط به وقد استطاع أن يفعل هذا بعد انقلاب أفغانستان الذي اوصل مؤيديه الى السلطة وهو بلا شك ينتظر ايران لقمة شهية ومثيرة رغم ما يحيط هـذه الشـهوة من محاذير وعقبات ومخاطر ويحلم بعد ذلك بالالتفاف حول باكستان وبالتالي يستطيع زعزعة الطوق الأمني الغربي وتهديد أمن

منطقة الخليج وطرق النفط فى المحيط الهندى والبحر الأحمر والمعروف ان ايران تدخل ضمن المخططات الروسية منذ عهد القياصرة حتى الآن فقد سعت روسيا القيصرية تارة بالتفاهم وطوراً بالضغط للحصول على منفذ جنوبى عن طريق ايران يطل على الخليج العربى ورغم هذا الاحساس فهناك علاقات وثيقة بين نظام الشاه والاتحاد السوفيتى حيث يوجد هناك ١٣٤ مشروعاً صناعياً فى ايران تنفذ بمعونة سوفيتية تنتج ٩٠ ٪ من مجموع انتاج الفحم و ٩٠ ٪ من الصلب ، ٧٠ ٪ من الفولاذ كما يبيع الشاه كميات كبيرة من الغاز للاتحاد السوفيتى الذى يشترى منه المتر المكعب بدولارين ويبيعه لدول أوروبا بـ ١٦ دولار . هذا وقد بلغت صادرات ايران الى الاتحاد السوفيتى عام ٧٥ — ٧٦ نسبة ١٨٫٦ ٪ من اجمالى الصادرات الايرانية كما استوردت ايران من الاتحاد السوفيتى فى نفس العام ما قيمته ١٦٩ مليون دولار محتلا بذلك المرتبة الثانية عشر بين الدول المصدرة الى ايران وقد وقعت الدولتان فى يوليو ١٩٧٥ اتفاقية لانشاء اطول خط انابيب للغاز فى العالم يمتد من جنوب ايران الى الاتحاد السوفيتى ألف كيلو متر وفى اغسطس ٧٧ وقعت صفقة نفطية يشترى الاتحاد السوفيتى بمقتضاها لاول مرة فى تاريخه بترولا من الخارج مليون طن من النفط الخام مقابل سلع تموينية ، والاتحاد السوفيتى يدعم دائماً هذه العلاقات ويحافظ عليها لاسباب منها .

التقليل من الدور الصيني في ايران هــذا الدور الذي يزعج الاتحاد السوفيتي .

وعندما بدأت الاضطرابات تجنب السوفيت اتخاذ موقف عدائي تجاه الشاه بل أن البرافدا اتهمت رجال الدين بانهم سبب الاضطرابات لمعارضتهم لاصلاحات الشــاه الخاصــة بتحــديد الملــكية التي ضربت مصــالح كبــار رجال الدين الاقطاعية وكذلك ارسل بريجينيف برقية للشــاه يوم ٣٠ اكتوبر بمناسبة عيد ميلاد الشاه أو العيد الوطني الايراني ، ثم أخذ الســوفيت يلقون بالمســؤلية على اجهــزة القمــع البوليسية وأحياناً تتهم اجهزة المخابرات الأمريكية بتنظيم الاضطرابات الا انه وفي الفترة الأخيرة بدأت بوادر الحــرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة .. فهذا تصريح لمدير المخابرات الأمريكية يعلن عن تأكده من وجــود نفوذ سوفيتي في الأزمة وهذا رد من « تاس » وبريجنيف شخصياً : انهــا كذبة كبرى ، ثم تكال الاتهامات للأمريكيين ودورهم داخل الجيش ودورهم في انقلاب مرتقب . باختصار فاذا لم تتدخل الولايات المتحدة بشكل مباشر ولم يشــعر الاتحاد السوفيتي بظهور منجستو في ايران وهــو احتمال شبه مستحيل فان الاتحاد الســوفيتي يميل الى بقاء نظــام الشاه لعدة أسباب .

١ ــ يدرك السوفييت طبيعة اللعبة الامريكية ومسرحية البديل التي تدبرها امريكا من فترة الى اخرى خاصة وان

الشاه استطاع ان يحدث توازناً معقولا من نظام كنظامه هذا التوازن الذى سيختل لصالح أمريكا فى حالة وصول البديل الامريكى .

٢ ـ العلاقة الطيبة بالنظام والذى اشرنا اليه من خلال الاتفاقات الاقتصادية المعقودة بين الطرفين وكذلك علاقتهم الطيبة بالشاه ذاته فقبل عامين اعاد الشاه للسوفيت الطيار السوفيتى الذى لجأ الى ايران وعندما كان الزعيم الصينى هو اكوفنج فى زيارة استمرت ٣ أيام لايران أثناء اشتعال الأزمة وذلك لدعم الشاه ارسل الشاه شقيقته الاميرة اشرف فى زيارة سرية لموسكو كى تطمئن السوفيت ان العلاقة الجديدة بين طهران وبكين لن تؤثر بشىء على العلاقات الطيبة مع موسكو ولا على معاهدة عدم الاعتداء القائمة بين الاتحاد السوفيتى منذ ١٩٢١ والتى تعطى السوفيت حق استخدام الاراضى الايرانية فى حالة تعرض حدودهم للخطر .

٣ ـ خشية الاتحاد السوفيتى من انتصار الثورة الاسلامية وقيام حكم اسلامى قوى سيزيد من المشاكل المستعصية التى تعانى منها موسكو مع جمهورياتها الجنوبية هذه الجمهوريات المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بايران المسلمة أكثر من ارتباطها بالاتحاد السوفيتى .

٤ ـ ادراك الاتحاد السوفيتى لصعوبة اشتراك الشيوعيون فى الحكم .

ولكن هذا لا يمنع أن يقف السوفيت مواقفا تكتيكية حسبما تقضية تطورات القضية .

اسرائيل والفلسطينيين :

يحمل المسلمون الشيعة ثأراً قديماً ضد اليهود المتهمون بالتآمر على قتل الامام علي كما يتوارث المسلمون والشيعة منهم بشكل خاص قصة بطولة الامام علي في حمل باب احدى قلاع خيبر واستخدامها كدرع في القتال ضد اليهود ، ولقد عاش الشعب المسلم في ايران فترة طويلة تحت وطئه العلاقة مع اسرائيل فحمل لها كرهاً شديداً لدرجة أن تتهم الحركة الاسلامية ويسرى ذلك بين الناس في ايران ان الجنود اطلقوا النار على المتظاهرين يوم الجمعة الأسود ١٨ - ٩ - ١٩٧٨ كانوا من اليهود ولقد ساند الامام آية الله الخميني الكفاح المسلح الذى يقوم به الشعب الفلسطيني فافتى بوجوب العمل على ازالة اسرائيل وصرف موارد الزكاة من اجل هذا العمل وفى اثناء حرب اكتوبر اصدر بيانين حث فيهما الشعوب والدول الاسلامية على مساندة الشعوب العربية في مواجهة العدو الصهيوني المغتصب وهناك رسائل متبادلة بين الامام الخميني وياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية (سبق ان اشرنا اليها في الفصل الثاني) وعندما اتهم الشاه منظمة التحرير بمساندة الثورة الاسلامية في ايران ردت المعارضة الاسلامية في بيان اذيع في ١٧ - ٨ - ١٩٧٨ م

« .. ان العلاقة بين الشعبين الايراني والفلسطيني هي علاقة نضالية في مواجهة عدو واحد يستهدفهما معاً » .

« . . وهل التعاون بين ثورتي شعبي ايران وفلسطين جريمة وتهمه ؟ ان ذلك شرف وفخر كبيرين لهذين الشعبين المناضلين » . ومن هذا يتضح مقدار الخوف الاسرائيلي من سقوط الشاه صاحب العلاقة الخاصة مع اسرائيل فالشاه معجب شخصياً بمنجزات اسرائيل بالاضافة الى حاجته الى اسواقها لتصدير النفط واستيراد سلع خاصة وبالاضافة للموقف الموحد من كلا الطرفين تجاه وحدة الامة العربية هذا وتسمح ايران الشاه لاسرائيل حق هبوط طائراتها فى المطارات الايرانية . بل أن باري ماتش الفرنسية تروى عن شاهد عيان فى عدد يوليو ١٩٦٧ ان الطائرات الحربية الامريكية كانت تهبط فى المطارات الايرانية حيث ترسم عليها نجمة داود ثم تنتقل الى اسرائيل كما أن هناك تلميحات فى اوساط كثيرة مطلعة الى وجود تعاون نووى بين اسرائيل وايران وجنوب افريقيا . ولذلك رأينا منذ البداية كيف قدمت الموساد الاسرائيلية المعونة للسافاك عند وبعد تأسيسها كما أشارت الهيرالدتبريون فى ١٤ ـ ٧ ـ ٧٨ وكذلك ما أشيع عن ضرب الجنود الاسرائيليين الذين يلبسون الملابس الايرانية للمتظاهرين الأمر الذى جعل « ايجال يادين » يصدر تصريحاً يكذب فيه هذا الامر قائلا : ان الجنود الاسرائيليين لم يطلقوا النار على المتظاهرين فى طهران » وقد كشف أن ٣٠٠ خبير اسرائيلى سافروا الى طهران بعد أن أعلنت حالة الطوارىء فى البلاد ولهذا بدأ واضحاً موقف اسرائيل ومن يؤيدها فى وزارة الدفاع والكونجرس الأمريكى كهنسرى

جاكسون من الشاه والسعي لتأييده لما يشكله سقوطه وتغير النظام من خطر على اسرائيل حيث ان هذا السقوط يعني بالنسبة لها :

١ ـ قطع النفط حيث أن ٧٠ ٪ من نفط اسرائيل يأتي من ايران وما سيؤدي ذلك من اصابة اقتصادها من اخطار ويجعلها عاجزة عن الدخول في اي حرب جديدة .

٢ ـ خسارة اسرائيل لحليف عسكري قوي فتصبح بذلك معزولة في المنطقة .

بالاضافة لما يشكله سقوط النظام من تأثير مباشر على موقف اسرائيل التفاوضي في محادثات السلام .

وكل هذا يعطي التفسير للحملة الاعلامية ضد الثورة الاسلامية ، فصحيفة (هاتسوفيه) المتدينة تقول « ايا كان النظام الذي سيخلف الشاه فلن يكون الا الاسوأ . . » وقالت « الجيروزلم بوست » (ان الاطاحة بالشاه لن تؤثر فحسب على الوضع الجغرافي والسياسي للخليج العربي ولكن في توازن القوى بصورة عامة) وهكذا فالثورة الاسلامية في محور من اهم محاورها هي الصراع بين الخميني واسرائيل .

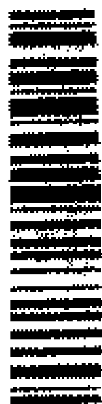
الوطن العربي :

لقد كانت احتمالات الصدام بين ايران والدول العربية قائمة سواء ايام عبد الناصر أو أثناء الأزمة الكردية على

حدود العراق أو باشكال غير معلنة ولقد اهتمت الجهات الدولية بالصراع الغير معلن ففى المؤتمر السنوى لمعهد الشرق الأوسط » ١ ، ٢ اكتوبر ١٩٧١ تناول المؤتمر دراسة عوامل التناقض بين السعودية وايران كما كان من نصيب مؤسسة (راند) الأمريكية تقديم دراسة للمخابرات الامريكية عن احتمالات الموقف فى حالة نشوب حرب بين العربية السعودية وايران بسبب الصراع على الخليج العربى وقد بدأت ايران الشاه مخططها عندما احتلت جزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى ، وكان هذا تمهيداً ايرانياً لتوقيع اتفاقية بين الشاه والملك فيصل بشأن جزيرتين متنازع عليهما هما (فارس وعربى) فأخذ الشاه الأولى وبقيت الثانية للسعودية ورغم هذا الصراع المعلن والغير معلن فان موقف السعودية من احداث ايران لم يتسم احياناً بالتحفظ كعادتها بل أن الأمير سلطان بن عبد العزيز أصدر بياناً فى ٢٠ نوفمبر ـــ انتقد فيه الثورة الاسلامية وحمل المسؤلية للشيوعية الدولية وقد قوبل هذا الانتقاد الصريح برد عنيف من الحركة الاسلامية حيث اصدر رجال الدين المناضلون فى بيروت بياناً هاجموا فيه السعودية فحملوها هى وبقية الأنظمة الملكية تبعية وجود اسرائيل وعزوا هذا الانتقاد الى خوف السعودية من امتداد الثورة الاسلامية اليها . هذا وقد وقفت الكويت موقفاً مشابهاً للسعودية وكذلك اعلنت العراق حسن نيتها للشاه فطلبت من الخمينى مغادرة البلاد وربما كان هذا بسبب الاتفاق العراقى الايرانى

بشأن الافراد ولكن الاهم هو تخوف العراق من الثوره الاسلامية خاصة وأن اضطرابات كربلاء والنجف الاشرف عام ١٩٧٧ لازالت ماثلة فى الاذهان أما ليبيا ذات الخلاف التقليدى مع الشاه فقد أعلنت تأييدها للثورة وكذلك سورية .

ولعله غريب فعلا أن تقف بعض الدول العربية هذا الموقف السلبى من الثورة التى تعلن دعمها وتأييدها لقضايا العرب .. الا ان كان تخوف هذه الدول من مد الثورة الاسلامية الى داخلها هو السبب .





« اننا بمنطق صدر الاسلام نتحرك ، فاذا قتلنا فنحن فى الجنة .. فاذا هز
فنحن فى الجنة ، واذا اوقعنا الهزيمة باعداء الاسلام فنحن أيضا فى الج
ومن اجل ذلك لا نخاف الهزيمة ، بل اننا لا نخاف من شىء ، أن النبى
صلى ألله عليه وسلم هزم فى بعض الغزوات ، اننا نحارب بسيف الله
وستستمر الحركة » ..

[آية الله الخمينى]